



كتب فومية



# السادة والعبيد

هلال شتا







كتاب فوهم

الأستاذ الكبير  
عبد العزيز بن  
يحيى بن  
الاسكندر

# السادة والعبيد

ملا ش



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقتهموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم » .

صدق الله العظيم



## إهداء

عندما صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، فى أوائل عام ١٩٥٣ أهديته الى ذلك الذى ألهمت جرائمه نوازع حميتنا ، وانبعثت من ظلمات مظالمه شرارة نهضتنا المباركة . . . . وقد كان - فى ذلك الحين - يدلف الى طوايا النسيان مجللا بالعار ، دون أن يذكر له أحد فى العالمين ذلك « الفضل » العميم .

ومضت عشر سنوات منذ ذلك التاريخ ، كان من أبرز معالمها أن القضية الوطنية قد تحددت مفاهيمها فى أذهان الشعب العربى فى مصر ، فعرف أنها قضية الوطن العربى كله . . . . ثم عرفت الأمة العربية - من الخليج الى المحيط - حقيقة وجودها ، ومقومات عزتها السالفة . . . . وواجبها حيال ذاتها وحيال البشرية كافة . . . . وبدأت تسلك سبيلها الى وحدتها الشاملة ، التى مكنتها ذات يوم من أن تصنع التاريخ الانسانى ، والحضارة الانسانية . . . .

وقامت الوحدة بين سورية ومصر ، بإرادة شعبية اجماعية نادرة . . . فانبرت فلول الاستعمار والرجعية تدافع عن مصيرها ، بأسلحة الرشوة ، والخديعة ، والحقذ ، حتى استطاعت أن تفرض الانفصال على الشعب العربى فى سورية حتى حين . . . . وأن تجعل من حقيقة الوحدة الدستورية أمانى حبيسة فى الصدور .

وقد قدر على أن أشهد النكسة الانفصالية ، وأن أعيش فى دمشق تلك الايام الاولى من المأساة ، مع القلوب النابضة بالوحدة

العربية ، المؤمنة برسالة القومية العربية ، المتعلقة بزعيمها ورائدها  
جمال عبد الناصر .

فالى هذه القلوب التى غمرتنا - فى تلك الايام - بأصدق  
عواطف الاخوة الحقّة ، والى أخوتنا الحبيبين اللذين صاحبانا طوال  
تلك الايام وأمدانا بأقدس معانى الوفاء... فى شجاعة عربية أصيلة  
والى أولئك الذين خلصوا سورية الحبيبة من براثن الرجعية  
والانفصالية ... أهدى هذا الكتاب ...

**هلال شتا**



# مقدمة

## الطبعة الأولى

المرحوم الأستاذ عبد الباقي سرور

جماعة القلم هيئة تحريرية ، تأسست منذ خمسة عشر عاما  
لتجعل من القلم رسولا ورسالة . . .

رسولا يحمل الى العقول النور ، والى القلوب الايمان، رسولا  
يقف في وجه الطغيان أيا كان لونه وأيا كانت صبغته . . ورسالة  
تمتد آفاقها حتى تشمل الحياة كافة ، رسالة تحريرية شاملة لتحرير  
العقول من الاستعمار الفكري الذي ضربته أوربا على آفاقنا، وفرضه  
الاستبداد الداخلي على تفكيرنا .

وتحرير المجتمع المصري من الجمود والحمول والضعف، وتنقيته  
من خبائث المبادئ الجامحة التي تقذفها معامل الحاد ، ومصانع  
الفجور ، التي تتميز بها حضارة الآلة الاوربية .

رسالة تعيد اليانا الايمان بانفسنا ، والايمان بأمتنا ، والايمان  
برسالتنا ، رسالة شعب هو أعرق شعوب التاريخ ، وأمة كانت  
دائما ، وكانت دائما وحدها ، هي الامينة على رسالات السماء ،  
فيما عرف الايمان الالهى شعبا حفظ رسالاته كهذا الشعب الخالد ؛  
الذي لم ينحرف يوما عن واجبه المقدس ، كقمة شامخة سامقة  
تلجأ اليها فضائل الايمان كلما فقد الناس الايمان بالايمان .

وبذلك يكون أدبنا أدبا أصيلا معبرا عن خصائصنا ، متحدثا  
عن ذات أنفسنا ، مساهما في بناء الحضارة الايمانية التي حملنا  
رسالتها وسنحملها دائما .

وكان قوام « جماعة القلم » في بداية تكوينها الاساتذة :  
محمود البدوي ومحمد على غريب والدكتور أحمد محمد الحجار  
وهلال شتا وأحمد فتحى مرسى وحسن حبشى وكاتب هذه السطور  
وكانت وسيلتنا لتحقيق رسالتنا أن نصدر كتابا دورية باسم «مكتبة  
الجيب » لتكون في متناول الجميع لانها كتبت للجميع ، وأصدرنا  
« الرحيل » « ورجل » لمحمود البدوي ، و ( الشفق الاحمر ) لهلال  
شتا .

ثم وقفت في وجهنا عوامل الطغيان الداخلى ، والطغيان الذى  
كان يقاوم الاحرار ويحارب النور في كل ميدان وخاصة ميادين  
الافكار والاقلام .

وأصبحنا فى مفترق الطرق اما أن نحنى رؤوس الاقلام ، واما  
أن نتفرق ، وآثرنا التفرق واحتفظنا بكرامة القلم .

وتأذن ربك بالنصر الاكبر ، بالتحريض الاعظم ، فكانت وثبة  
الجيش ، وضربة الاحرار ، وحركة التحرير .

وأشرقت الارض بنور ربها ، وأضاءت الوادى مصابيح الحرية  
ومشاعل الايمان ، وكنا أسعد الناس بالنور ، وأسعد الناس  
بالحرية ، ومن ثم عادت جماعة القلم لتسهم مع الاحرار ، ولتجاهد  
مع المجاهدين ، ولتبنى مع البناء من أبطال الجيش وقادة التحرير .

لقد تحرك الجيش وحمل الرسالة ، فيجب أن يجند القلم  
ليحرس الشعلة المقدسة التى يحملها الابطال ، فالاقلام هى الرايات  
التي تستظل بها الامم ، هى التى تبني الآفاق وترسم المثل ،  
وتحدد الاهداف التى تعيش عليها الشعوب .



واليوم تسهم جماعة القلم فى حركة التحرير بهذا الكتاب ،  
وهى فخورة كل الفخر ، ان يكون هذا الكتاب هو طليعتها فى  
المعركة ، لانه يحمل فى كل صحيفة من صفحاته ، بل فى كل  
سطر من سطوره روح التحرير ، روح الايمان ، روح مصر الحالدة .

روح مصر التى اراد الطغيان ان تموت واراد الله ان تحيا ،  
روح شعب مر به الغزاة والطفاة ، وعاشت تحت سمعه وبصره  
الدسائس والحيانات ، وجثم على صدره الاستعمار والحكم الفاسد ،  
حتى اذا ظنوا وظن الناس معهم ان مصر قد توارت بالظلمات  
وتقنعت بالاكفان انتفضت الارض الطيبة ، وثار الشعب الحالد وطلع  
مع الشمس فتيا غلابا ، لا تقهره الاحداث ، ولا تنال منه الايام .

ان هذا الكتاب « السادة والعبيد » هو قصة مصر فى قرن  
ونصف ، هو قصتى وقصتك ، قصة أبى وأبيك ، قصة جدى وجدك  
انه صورة التاريخ الحى يعرضها علينا بأسلوبه الساحر الاستاذ  
هلال شتا فوق الشاشة البيضاء ، لا كلمات تقرأ ، بل صوراً حية  
أشد ماتكون الحياة ، وعنيفة صادقة اشد مايكون العنف والصدق .

انه التاريخ من جديد ، لا كما كتبه الطغيان والاستعمار ،  
بل كما يكتبه الاحرار والابطال .

انه قصة الشعب ، لقصة الملوك والامراء كما علمونا وكما  
كتبوا لنا . سنرى فيها انتفاضات الشعب الوطنية بكل مافىها من  
نبل وفداء ، وبكل مافىها من تضحية وايثار ، كما ستمر بنا مواكب  
الطفاة ودسائس الجبارين ، من الاتراك والجرسكين والفرنسيين  
والانجليز .

سنسمع صليل السيف ، ونشم رائحة البارود ، ونلمس  
بأيدينا الدم ، ونحس بقلوبنا خفقات الارواح ، أرواح المصريين ،  
الذين وقفوا فى وجه التاريخ كراما صابرين ليصنعوا وحدهم  
تاريخهم .

سنرى الفلاح المصرى الذى احتقروه جميعا وسخروا منه  
جميعا ، الفلاح المصرى الذى حبسوه فى قماقمهم ثم أطلقوا  
ضحكات الاستهزاء والنصر ، سنرى كيف حطم القماقم ، ثم وثب  
جبارا عملاقا يسحق بأقدامه ساجنيه ومستعبديه محققا لحن المتنبى  
الحالد .

كم قد قتلت وكم قدمت عندهم  
ثم انتفضت فزال الموت والكفن  
قد كان شاهد دفنى قبل موتهم  
جماعة ثم ماتوا قبل ما دفنوا .

مارس سنة ١٩٥٣

طه عبد الباقي سرور



## هذا الكتاب

ان وقائع التاريخ الثابتة قد استعصت على الفناء . . . . وبقيت ملكا خالصا للزمان في امتداده وتعاقب أيامه وسنيه . . . . وانعقد عليها اجماع المؤرخين على اختلاف اتجاهاتهم وأهوائهم - رضوا أو كرهوا - وبذلك خلصت من كل آفة ، وبرأت من كل زيف . . . . ولكن آفة التاريخ في روايته . . . . وزيفه في مستغليه . . . . اولئك الذين شاءوا أن يستقرئوا الوقائع - الثابتة - عكس مدلولاتها . . . . . وأن يحملوا الالفاظ الواضحة مالا تطيق من معاني الهوى والغرض والالتواء . . . .

وبعض هؤلاء الرواة يلتمس له العذر ، لانه أمسك بالقلم في ظل من سيطرة الفرد واستبداده ونفوذه العريض . . . فأورد الوقائع ثم صمت عن معانيها . . . وقص الحوادث ثم كف عن مراميها . . . واضطر أن يدفع ثمن جهده انحرافا في بعض المواضع . . . او افتراء لامجاد زائفة يحيط بها رأس الحاكم ورعوس آبائه من قبله . .

وبعضهم قبض الثمن بدل أن يدفعه . . . فكان الهوى والضلال لحمة روايته وسداها . . . أو طمع في الثمن ، فكان الملق والرياء طابعه وغايته . . . .

وقليلون جدا نشدوا الحق ولم يحيدوا عنه . . . فبدد الطغيان أكثر ما خلفوا ، قبل أن يتبدد ذلك الطغيان ، ويصبح من الذكريات السود . . .

وهذا كتاب أتيح له أن يكتب فى ظل الحرية ٠٠٠ مستندا  
الى وقائع التاريخ التى اجمع عليها المؤرخون كافة ٠٠٠ مستمدا  
منها مدلولاتها الصحيحة : أما هدفه فهو الاجابة عن هذا  
السؤال :

من هم آباؤنا وأجدادنا الاقربون ؟ ومن هم أعداؤنا فى ماضينا  
القريب ، وفى حاضرننا ومستقبلنا ؟ ومن هم أصحاب السيادة ومن  
هم سالبوها من العبيد الارقاء عبيد الشهوة والجريمة والطغيان ؟  
ومتى بدأت ثورة هؤلاء السادة ووثبتهم ، وكيف اتصلت  
حلقاتها ، وكيف انطلقت ألسنة النيران كلما حسب الظالمون أن  
شعلتها قد انطفأت ، وكيف توارت تحت الرماد كلما لبس الظالمون  
مسوح العدل والكرامة ؟

اننى لن أرجع بك الى بعيد ، ولن أضـمـع بين يديك تراث  
القرون ، ولن أبسط لك أمجاد آبائك جيلا بعد جيل ، ومظالم  
حكّامك ومطامع غاصبيك ٠٠٠ ولن أتعب واياك تاريخ نهضتكم  
وكوامن قوتكم الشعبية فى العصور الغابرة ٠٠٠ فأحدثك عن « حور  
محب » القائد الذى سار على رأس جيش الشعب فخلع الملك  
« اخناتون » دون أن يريق قطرة من الدماء ٠٠ وخلص البلاد من  
الفساد والفوضى ، والعرش من حاشية السوء ٠٠٠ ووضع أسس  
التشريع وقوائم العدل والاصلاح والاستقرار ٠٠

لن أحدثك عن ذلك ، ولن أوغل واياك فى أعماق القـدم ،  
ولكننى سأبحث معك عن ماضينا القريب ٠٠٠ عن بداية السلسلة  
التي اتصلت حلقاتها حتى نهضنا بوثبتنا الاخيرة ، لأعرف أبى  
وتعرف أباك ، ولنحصى - كلانا - قطرات الدم التي بذلت من  
حيويتنا لندفع عن هذه الارض الطيبة دنس الغاصبين ورجس  
المفسدين ٠٠

سنطوى من عمر الزمان مائة وخمسين عاما فحسب ، حين



كنا - أو كان آباؤنا وأجدادنا الاقربون - ثلاثة ملايين من السادة  
الاحرار المغضوبين .. لنبحث عن أصولنا بين أولئك الملايين الثلاثة،  
الذين هدهم الظلم والبغى والطغيان ، وأكلتهم الفاقة وحصدتهم  
اللاوبئة ، والذين نهضوا في وجه الاستعمار الفرنسي ، والظلام  
التركي ، والعدوان الانجليزى ، وغدر المماليك الأرقاء ، فقدوا في  
مدى عشر سنوات جاهدة ناصبة نصف مليون من الضحايا ،  
ولكنهم انتصروا في النهاية على أعدائهم جميعا ، وطهروا منهم أرضنا  
الطيبة ..

سيجد كل منا أباه بين هذه الملايين الثلاثة ، ويتعرف عليه ،  
في قريته أو مدينته ، بل وفي داره أيضا ... فليس فيهم رجل  
أو امرأة أو غلام لم يحمل السلاح .. وليس فيهم الا باذل دمه أو  
روحه في سبيل وفي سبيلك .. ومن أصلاهم وجدنا نحن جميعا  
.. ووجدت هذه الملايين .. ومن أصلاب الأحرار يولد الأحرار .

وتلك هى الحلقة الأولى .

أما الحلقة الثانية فوثبة الابناء والأحفاد في وجه الحكم الفاسد  
الظالم والحاكم الغاشم المعربد ... بعد سنوات من عبث محمد علي  
وأبنائه .. وهو ذلك الذى أجلسناه بأيدينا في مكان السلطة  
والجاء ، وجعلناه ثمرة جهادنا طوال سنوات عدة ، وفرضناه على  
السلطنة العثمانية المتعالية الجبارة .. فعض أكف الاحسان التى  
امتدت اليه .. وبدد دماءنا في أرجاء الدنيا .. واغتصب لنفسه  
ولأبنائه أرضنا الطيبة ... وفرض العبودية على ساداته وصانعى  
عرشه .. ثم سارت سلالته الملتاثرة على النهج المعوج حتى قامت  
وثبة الجيش بقيادة ضابط مصرى هو البكباشى لطيف سليم ..  
ووثبة الشعب كله بقيادة أولئك السابقين من رواد الحرية والكرامة  
والسيادة ..

وأما الحلقة الثالثة فهى الوثبة العرابية ... التى فرضت

سلطان الفلاحين ، وكفت عدوان الدخلاء و غطرسة الاذلاء .. والتي عاقتها وخانتها - بعد نصر مؤزر - مؤامرات الحاشية الدنيئة .. ومداهنة الساسة المحترفين المستضعفين ، وجشع الاقطاعيين المخاتلين .. ثم عدوان المستعمرين الغاصبين الذين تمسحوا بالعرش وصاحبه الدليل .. والتي كشفت مرة ثانية عن صلابة الشعب ووحدته وبسالته وفدائه والتي اضافت الى معارفنا الوطنية درساً عرفنا كيف نذكره ولا ننساه .. الا نهل الرأس الفاسد ، وألا نلقى بالا الى التواء الساسة وهوانهم وجبنهم وأن نضج الجشعين منا والمبتزين في مكانهم ، وهو مكان العداوة ... أو مكان العضو الفاسد المنحل ، على أقل تقدير .. وأن نصدر في أمورنا العليا عن ارادة الشعب وآماله وغاياته .

وأما الحلقة الرابعة فهي ثورتنا الشاملة في وجه الاستعمار الانجليزى وأعوانه وصنائه ودعائم الحكم الفاسد ... التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ثم انتهت بوثة الجيش المصرى المنبعثة من ارادتنا جميعاً ... نحن الذين انحدرنا من أصلاب الملايين الثلاثة ، وبذلنا دماءنا مرة بعد مرة ، لنغسل عار الاستعمار ، ولنظهر الحكم من أضرار السلالة الغاشمة الملتاثرة التي أجلسنا جدها الأكبر فتنكر لنا وتنكر ابناؤه من بعده .. وقد فرضناهم على الاستعمار التركى فانقلبوا أدوات للاستعمار في مختلف صوره .. تلك الوثبة التي وقاها القادة من اراقسة الدماء ، بعد طول ما أرقنا وبذلنا من الدماء .

هكذا سنستعيد معاً تاريخنا القريب ، في مدى مائة وخمسين عاماً .. وسنرويه ، مجرداً من كل زيف ، مبرأ من كل باطل ، لأنه اليوم يروى في ضوء الحرية ..

« فأما الزبد فيذهب جفاء ... وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

دلال أحمد شتا

مارس سنة ١٩٥٣



الحلقة الاولى

من أعماق الظلمات



## حياة الظلام

هكذا كنا فى شهر يوليه سنة ١٧٩٨ عندما امتدت أطماع نابليون الى الوادى الحصبى ..

كنا ثلاثة ملايين من الأنفس .. وكانت الأرض الطيبة قد رزحت تحت الاثقال قرابة ثلاثة قرون ... وكان الشعب الطيب يرسف فى الاغلال ويعيش فى ظلام الحكم التركى كالأشباح والاطياف ، شقيا جائعا محطما ..

كان السلطان سليم فى ذلك الحين - قبل مائتين وثمانين عاما - قد استولى على مصر فى سنة ١٥١٧ وأزال سلطان دولة المماليك الجراكسة ثم تركها نهبا لتنازع سلطات ثلاث أقامها فيها ليتمد حبل الفوضى ، ويستشرى الطغيان ، ويحتدم التنافس بين مصاصى الدماء ...

فقد ترك فيها حامية عسكرية لها قائدها ، وترك فيها نائبا للسلطنة ، وترك فيها « البكوات » المماليك حكام الأقاليم ورؤساء الدواوين ..

وكان السلطان سليم قد اعتبر نفسه مالكا لأراضى مصر قاطبة ، وكذلك فعل ابنه سليمان وخلفاؤه من بعده .. فلم يبق للمالك المصرى الا حق الانتفاع بأرضه فاذا مات آلت الى الحكومة ، واذا أراد ورثته الانتفاع بها كان عليهم أن يدفعوا ثمن ذلك الانتفاع الذى يقدره الوالى كما يهوى ويشاء ..

وعلى مدى السنين انطلق المماليك ينتهبون الأرض حتى



امتلكوا ثلث الزمام . وأعطيت البقية للملتزمين بالمزايدة بينهم ، وهم أولئك الذين كانوا يأخذون القرى « التزاما » يتوارثونه ويبيعونه ويعبثون في ظله طغيانا وارهاقا ، مقابل جباية الخراج .

ثم راح الملتزمون يغتصبون تركات المتوفين بغير عقب ، ويبتزون أموال الفلاحين مقابل نقل الأرض من فلاح لفلاح ، كما أقطعوا أراضى معفاة من كل ضريبة ، هى «الأوسى» التى استخدموا فيها الفلاحين سخرة بغير أجر .

وهكذا نشأ الاقطاع فى مصر . .

وخضع الفلاحون للضرائب الفادحة . . ضريبة فرضت أصلا للسلطان ، وضريبة لحاكم الاقليم من البكوات المماليك ، وضريبة للملتزمين فى كل منطقة . ثم أضاف الملتزمون الى ذلك كله ضرائب أخرى متعددة الانواع والأسماء .

وخضع غير الفلاحين للضرائب والمكوس والاتاوات على الصناعات والمواد الغذائية والجمارك والوكائل والسفن والقوافل والرؤوس والوظائف .

وعين السلطان قاضيا تركيا للقضاة ، له نواب ثلاثة كما عين رؤساء القضاة فى المدن والأقاليم . وكان تعيين أولئك جميعا - بل وتعيين الوالى نفسه - مقابل اتاوات يدفعونها لحكومة الأستانة ، وكانوا يبيعون مناصبهم فى مصر اذا شاءوا مقابل اتاوة أكبر . . . . فعف شيوخ الأزهر وعلماء المصريين عن ولاية القضاء ، وانطلق تجار « العدالة » يبتزون أموال الناس ، وفسد كل شئ ، وانهارت كل المعانى ، وأهدرت كل المقدسات . .

وأصاب التلف مقومات حياة الشعب فجفت الترع ، وضعفت الارض وتعطلت الزراعة ، واشتدت هجرة الاهلين ، واضطرب

الأمن ، واضمحلت الصناعة ، وانقرضت الفنون ، وفتكت الأوبئة  
بمئات الألوف فمات خلق كثير .

وكان التنازع - منذ البداية - قد قام بين الوالى ورؤساء  
الجند . فاستطاع البكوات المماليك أن يستأثروا بالحكم - وخاصة  
عندما ضعفت السلطنة العثمانية - حتى أصبح كبيرهم « شيخ  
البلد » أمير مصر وحاكمها الذى يعزل الولاة ويفرض نفوذه على  
الجميع . وحتى استطاع على بك الكبير أن يخرج على طاعة السلطان  
فى ١٧٦٣ . . ثم عادت مصر الى الركاب العثماني بخيانة محمد أبى  
الذهب فى سنة ١٧٧٣ . . ثم تنازع المماليك وانتشرت الفوضى الى  
أن دهمهم الفرنسيون .

وفى خلال هذه القرون تعرض الشعب المصرى لما لم يتعرض  
له شعب ، وتآلفت عليه قوى الشر ، وصبت فوق رأسه الرزايا  
التى توشك أن تسود وجه التاريخ الانسانى كله . .

وقد وقع فى براثن الفرنسيين أخيرا . والسيادة فيه معقودة  
للأرقاء من أولئك المماليك ومماليكهم . . . ولغة الضاد قد توارت  
وسيطرت لغة الأتراك الدخلاء . . . وشعلة العلم قد انطفأت أو  
كادت - لولا الأزهر وشيوخه - وتردى الفلاحون فى حضيض الفاقة  
والمرض ، واشتد الارهاق بالملاك والتجار والصناع وأرباب الحرف .  
وظن العالم أنها رقدة الموت . . وأنه ديب الفناء . . .

وراح نابليون بوناپرت يلتقى ببصره الى الوادى الحصب .  
الى ذلك الميدان الذى خلا من عدة الدفاع . والذى يستطيع أن يقهر  
فيه الانجليز ان ارادوا الوقوف فى سبيله ، بل أن يتخذ طريقا  
الى الهند ليغصب من أيديهم درة الامبراطورية . . وتجددت فى  
خياله أحلام لويس التاسع سجين المنصورة ، وأحلام خلفائه التى  
بددتها الايام . . .

## أنداء الفجر :

وبلغ الظلام منتهاه . . . ذلك الذى جثم على صدر مصر  
مائتين وثمانين عاما فى حكم الأتراك وأدواتهم المثلومة . . . وبلغ  
أسطول الحملة الفرنسية ميناء الاسكندرية فى أول يولية سنة  
١٧٩٨ .

وواجهت الملايين الثلاثة نابليون بونابرت قاهر أوربا . .  
وتساقطت أنداء الفجر . . . ونفضت براعم العزة والكرامة ظلمات  
السنين ، ونبتت البذور الطيبة فى الثرى الطيب . . . وانشقت  
الأجنة المستكنة رويدا رويدا عن ثلاثة ملايين من الأبطال . . .  
يصنعون المعجزات . ويبلغون المحال . . . ويخيّبون ظنون العالم  
كله . والتاريخ كله . .

ولقد بدأت مقاومة المصريين الأحرار منذ اللحظة الأولى . . .  
وهم يحاربون مع المماليك . . . وسجل التاريخ أن مقاومتهم كانت  
أقوى من مقاومة المماليك ، وما أقل ما يتصف التاريخ ، وما أكثر  
ما يزخر بالبهتان .

ولكن المصريين انفردوا بالمقاومة بعد هزيمة المماليك ،  
واستمروا فى جهادهم عشر سنوات كاملة ، فرضخ التاريخ وخفض  
من جناحه ، وسجل كارها أن فى مصر شعبا قد بعث من أعماق  
الظلمات . . . ووجد من بذور صلبة أوشك الجفاف أن ياكلها . .  
فصنع البداية التى خرجنا منها . . . واتصلت بها حلقات يقظتنا  
وانبعاث وعينا ، بل ووجودنا وكياننا .

لقد بدأت القصة فى الاسكندرية . . . ولعلها بدأت فى كل  
مكان فى مصر ، ولكنها رويت - أول ما رويت - على مسرح الثغر  
الحالد . .

كانت الاسكندرية فى عزلة عن بقية أرض الوطن . . وكانت



تعانى غنتا وارهاقا شديدين . . . فقد عدا الفساد والاهمال على كل شىء فيها ، وجفت ترعتها فلم تعد مياه النيل ترتفع الى قاعها المهل الا فى موسم الفيضان . . .

ومن مياه الفيضان وحدها يستقى السكندريون طوال عامهم من صهاريج أقاموها يملئونها فى كل موسم .

وكان عدد سكان الاسكندرية قد تضاعف الى خمسة عشر الفا ، كأنها قرية صغيرة مهجورة . . أو واحة ضاربة فى أعماق الصحراء . .

ومع ذلك ، فعندما قرع الخطر أسماع أهلها ، سارعوا الى تكوين قوة منهم للدفاع يتزعمها حاكم الاسكندرية وابنها البار السيد محمد كريم . .

واشرف الزعيم السكندرى على المعركة المرتقبة من طابئة قايتباى . . وانطلق الأهالى يحصنون الأسوار ويقيمون المتاريس ويوزعون السلاح ويستكملون أهبة الدفاع . .

وفى أول يوم لدخول القوات الفرنسية أرض مصر كانت الآلاف الخمسة عشر تتوثب وتقابل النار بالنار . .

كان الجيش الفرنسى يتقدم شبرا بشبرا والأهالى - رجالا ونساء ، وشيوخا وصبية - يدافعون عن كل موضع قدم . . . من كل بيت ومن كل نافذة ومن كل منعطف . .

ولعبت الحيانة التركية دورها الذليل . . . فتقدم قسائد السفينة العثمانية الراسية بالميناء - واسمه ادريس بك - يطالب الأهالى وقائدهم بالكف عن المقاومة ، بدعوى ان الفرنسيين جاءوا يخلصون البلاد من براثن المماليك .

واستجاب بعض المقاتلين للنداء المتخاذل . . . ولكن « محمد

كريم» ظل على مقاومته حتى اللحظة الأخيرة . . . . بعد أن خسر  
الفرنسيون ثلثمائة من القتلى والجرحى . .

وحين وقع البطل الوطنى فى الأسر ، كانت خسارة الأهالى  
قد بلغت ثمانمائة من القتلى والجرحى . .

وأراد نابليون أن يستميل محمد كريم ، وأن يحرق للشعب  
السكندرى بخور التقرب والزلفى ، فرد للبطل المجاهد سلاحه ،  
وأعلن عن تقديره لشجاعته وبسالته ، وأبقاه فى منصبه حاكما  
للاسكندرية . .

ويمضى نابليون فى سبيله . . . ويبقى محمد كريم فى موطنه  
فلا يحالف المعتدين ولا يغمض عنهم جفنه . . . بل يواصل كفاحه  
فى صمت وخفاء . .

ان كليبر - الذى خلفه نابليون فى حامية الاسكندرية -  
يريد أن يؤمن المواصلات الفرنسية بين الاسكندرية ورشيد ،  
فيرسل كتيبة لهذا الغرض .

ولكن محمد كريم يعلم بالنبا ، فتختفى الجمال من الاسكندرية  
فجأة ، وتعجز الكتيبة عن التزود بحاجاتها من الماء . . . ولا تعود  
الجمال الى الظهور الا بعد أن تمضى الكتيبة فى طريقها الجذب  
المحفوف بالأخطار . .

ثم تلقى الكتيبة مقاومة فى كل مكان . . . حتى تبلغ دمنهور  
فيهاجمها ستة آلاف من المقاتلين المصريين ويوقعون بها الهزيمة .

وتنسحب الكتيبة الفرنسية الى بركة غطاس فيهاجمها  
المصريون ويهزمونها . . . وتعجز الكتيبة عن بلوغ غايتها . فتعود  
أدراجها منهوكة القوى مثخنة الجراح ، ويتميز كليبر غيظا  
فيقبض على السيد محمد كريم ويبعث به الى أبى قير - مرسى  
الاسطول الفرنسى - ثم الى رشيد وأخيرا الى القاهرة . .

ويسفر نابليون عن وجهه ويكشف عن عدوانه ، بعد طول  
استخفاء ورياء .. ويقضى مجلسه العسكرى بادانة محمد كريم ،  
الذى قاوم الفرنسيين المعتدين .

وأخيرا - وفى ٥ من سبتمبر سنة ١٧٩٨ - يجترى نابليون  
فيأمر باعدام البطل السكندرى رميا بالرصاص ... وبمصادرة  
أمواله وأمواله ...

ويعرض الفرنسيون على محمد كريم أن يفتدى نفسه بغرامة  
قدرها ثلاثون ألف ريال فيأبى ، وينفذ فيه حكم الاعدام فى ٦ من  
سبتمبر سنة ١٧٩٨ .

ولم يكن محمد كريم هو أول الضحايا ... أو أول الشهداء  
... فقد سبقه اخوان له الى الشهادة والفداء ... اخوان بلغوا  
الآلاف ..

### وقدة الشعلة :

وكذلك صنع المصريون فى شبراخيت ... وفى القاهرة :  
كان الاسطول الفرنسى يشق طريقه فى النيل ، فالتقى به  
اسطول مراد بك عند شبراخيت ، ودارت المعركة ..

واحتشدت جموع المقاتلين الوطنيين على شاطئ النيل  
وراحت تهاجم الفرنسيين ، حتى أغرقت خمس سفن واستولت على  
سفينتين مسلحتين ..

تم ذلك كله قبل استيلاء نابليون على شبراخيت ...

ثم مضى الجيش الفرنسى فى طريقه الى القاهرة ، فواجه  
مقاومة وطنية فى كل مكان ، وظل الوطنيون يهاجمون جوانب  
وحواشيه ، ويوقعون به ما استطاعوا ... ولكنهم اخلوا قراهم



الواقعة فى سبيله ٠٠٠ ومع ذلك فلم يعف الفرنسيون الشرفاء  
عن نهبها .

وقبل وصول الجيش الفرنسى الى امبابه ، شغل الممالك  
بشئونهم وممتلكاتهم وأموالهم وأمتعتهم ، وانطلقوا يحملون  
ما يستطيعون حمله ويولون الأدبار ٠٠٠ فنهض الشعب وحده  
بعبء المقاومة ٠٠٠ وانبعث النفير العام فخرج الأهالى الى المتاريس  
فى بولاق ، وتقاطرت وفود المتطوعين للقتال ، واكتتبت طوائف  
أهل الصناعات لتجهيز المحاربين وتوفير عدة الدفاع ٠٠

وفى معركة امبابه ذاتها التى قتل فيها ألفان من الممالك  
كانت ضحايا الشعب المصرى خمسة آلاف ٠٠

فمن هم أبطال شبراخيت ؟ ومن هم شهداء امبابه وبولاق  
وأسودهما البواسل ؟ ٠٠٠ انهم كل مصرى من أجدادك الأقربين .

وكذلك كان أجدادنا المحاربون فى كل قرية ومدينة ٠٠٠ وفى  
كل شبر من أرض مصر شماليتها وجنوبيها ٠٠

قاومت جموع الأهالى فى « أبو زعبل » فردوا الفرنسيين الى  
الحانكة ٠٠ وداهموهم فى الحانكة فردوهم على أعقابهم الى المرج ٠٠  
ولم يستطع الفرنسيون أن يعودوا الى الحانكة فى طريقهم الى  
بلبيس الا بعد أن وصلتهم قوات المدد ٠٠

وقاد نابليون بنفسه حملة بلبيس ، فوصلها فى ٩ من  
أغسطس سنة ١٧٩٨ ، ولكن ابراهيم بك كان قد تركها فى طريقه  
الى الشام ٠٠ وفى ١١ من أغسطس نشبت معركة الصالحية فكانت  
شديدة على الفرنسيين ثم انسحب الممالك الى الحدود السورية ٠٠  
فاتخذ الفرنسيون مسجد الصالحية مركزا عسكريا ، لانهم - كما  
ادعى نابليون - يحترمون الاسلام ويصلون على نبيه !! ٠٠

واستمرت المقاومة في كل مكان من الشرقية .. ثم اشتد  
أوارها في أوائل أكتوبر سنة ١٧٩٨ مع بداية الثورة الأولى في  
القاهرة ..

وقد ظل الأهليون يهاجمون معسكرات الفرنسيين في بلبيس  
وغيرها من المواقع ... وظلت الحرب سجالا ولكنها لم تهدأ ولم  
تتوقف ..

ونفضت المنصورة بواجبها .. وهي التي أسرت ملك فرنسا  
وأذلت تاجه من قبل ...

ففي ١٠ من أغسطس سنة ١٧٩٨ نودي بالثورة ... وهو جم  
الجنود الفرنسيون ، وحاصر معسكرهم . ودكه الأبطال على رؤوسهم  
ولم يستطع المهزومون أن يهربوا بالسفن ، فان الأبطال الوطنيين  
قطعوا عليهم الطريق وحصدوا رقابهم .. وكتبت قصة «السنيرة»  
التي لم تزل عالقة بالاذهان ، فان شيخ العرب أبو قورة - الذي  
غنم من الفرنسيين مدافع لم تزل محفوظة في المتحف الحربي - قد  
سبى ابنة أحد الضباط الفرنسيين وتزوج بها . وتلك هي  
«السنيرة» التي تناقل الأهليون أخبارها ..

وقد سارع الفرنسيون الى الاخذ بالثار فأوفدوا قوة عسكرية،  
ولكنها لم تجد جيوش الوطنيين وجموع الأبطال وعلى رأسهم الأمير  
مصطفى وعلى العديسي ... وراحت تجرد الحملات على القرى دون  
جدوى ..

واشتدت المقاومة في الدقهلية كلها ، وقام الأبطال الوطنيون  
بأمجد الاعمال في سنباط . وفي ميت غمر ودنديط .. وكبدوا  
القوات الفرنسية أفدح الحسائر . وعاقوا تقدمها ثم انسحبوا سراعا  
الى «الهواير» .

وفشلت الحملة الفرنسية على البحر الصغير ومدائنه وقراه ،

وتزعم حسن طوبار شيخ المنزلة حشود الثوار في الاقليم كله ،  
وألقى في وجه الفرنسيين بأسطول من مراكب الصيد المسلحة ،  
كما تم التعاون البرى بينه وبين الامير مصطفى وعلى العديسى ..

ويذكر التاريخ معركة الجمالية . والعار الذى سود وجوه  
الفرنسيين .. عار احراق المدائن والقرى وتخريبها ونهبها .. كما  
يذكر معركة دمياط التى استمرت طوال ليلة ١٦ من سبتمبر سنة  
١٧٩٨ بين القوة الفرنسية والوطنيين المهاجمين من البر والبحر ..  
ويذكر معركة « الشعرا » وينتقل بين المدن والقرى فتذهله مقاومة  
الاهلين . ويغضب عينيه عن فظائع الفرنسيين فى ميت الحولى  
وأمثالها من معاقل المكافحين .

وتوثب أهالى رشيد - فى الجانب المقابل من أرض الدلتا -  
ووقعت حادثة السالمية حين قتل الوطنيون رسل الفرنسيين الى  
قائدهم نابليون فسار سفاحهم «منوى» الى القرية المجاهدة فأحرقها  
وقتل تسعة من أهاليها ..

وقامت شباس عمير . فتابع السفاح وحشيته وأشعل فيها النار  
ثم انسحب من وجه أهلها البواسل غارقا فى العار ..

وهبت قرى البحيرة ومدائنها تناوى المستعمرين وتقاوم  
كتائبهم .. فأطلق الفرنسيون سهام النذالة فى كل مكان ..

أحرقوا بركة غطاس ونهبوها بعد أن ذاقوا من سكانها أهوال  
الجحيم .. وردوا على بسالة رشيد وأبى قير وشمال البحيرة فى  
نوفمبر سنة ١٧٩٨ بالقبض على مشايخ البلاد وقتلهم رميا بالرصاص  
فى رشيد .. وبإعدام زعماء المقاومة فى دمنهور ..

وظلت القوات الوطنية تتجمع وتوغل فى الصحراء وتتصل  
حلقات مقاومتها وأمجادها وفدائها النادر ..

ونعود أدراجنا الى العاصمة الحالدة الزاهرة بالاعاجيب ..



ان نابليون يتملق المصريين وزعمائهم بعد معركة امبابة ثم يدخل المدينة فى ٢٤ من يولية سنة ١٧٩٨ ويؤلف « الديوان » من تسعة من الشيوخ ويسند اليهم حكومة القاهرة الخاضعة لرقابته ونفوذه . . . ويمضى فى خداعه فيؤلف دواوين الاقاليم ثم الديوان العام . والمجمع العلمى المصرى من الفرنسيين الذين رافقوه فى حملته . .

وتمضى أشهر ثلاثة تستجمع فيها القاهرة أنفاسها بعد جهادها الباهر فى معركة امبابة وبولاق . . ثم تقوم الثورة المقدسة .  
ان المدينة تهب فجأة . فتموج بالابطال . .

الشيخ عبد الله الشرقاوى - رئيس الديوان العام - يلقى بطيلسان الجمهورية الفرنسية على الارض فى منزل نابليون ويستقيل . . وتسرى روح المقاومة بين الجموع سريان اللهب . . وتجتمع لجنة الثلاثين فى ليلة الاحد ٢١ من أكتوبر سنة ١٧٩٨ بزعامة السيد محمد السادات لتنظيم التطوع واعداد عدة القتال . .

ولقد كان اجتماعها فى الازهر . . . ومن الازهر انبعثت الثورة وانطلقت جيوش الوطنيين . . . وفى صباح ذلك اليوم - الاحد ٢١ من أكتوبر - احتشدت الجموع . وظهرت الاسلحة من مكانها واشترك الفلاحون من سكان الضواحي والقرى القريبة فى معركة الكرامة . .

هاجم الثوار مخافر الفرنسيين ، وقتلوا الجنرال ديبونى قومندان القاهرة . وهزموا رجاله فى القورية . . . ونفخ فى النفير العام . . . وباتت المدينة كلها تائرة متوهجة . .

وفى ٢٢ من أكتوبر دار القتال فى الكيادين والشوارع، والبيوت والمساجد وقتل ياور نابليون . . . وجرامى الفرنسيون عند اقدام

أعضاء الديوان فرفض الشعب المقاتل وساطة أعضاء الديوان وتتابعت  
أوامر القيادة الشعبية وطاشت أحلام الفرنسيين ..

وأقدم نابليون على أخس فعلة فى تاريخه .. ف ضرب الازهر  
بالمدافع . ثم راح يضرب المدينة كلها ليهدمها على الشيوخ والنساء  
والاطفال ...

ونسى التاريخ أن يتحسر على الشرف الفرنسى الضائع ، ولكن  
القوات الشعبية لم تنس المدينة المحالدة ... والشيوخ الواهين ...  
والنساء المحصنات ... والاطفال الابرياء ... فألقوا السلاح ...  
وأخيرا توقف الضرب البربرى فى الساعة الثامنة من ذلك المساء وكان  
عدد الضحايا من الوطنين أربعة آلاف ..

وأمعن الفرنسيون فى بربريتهم فقاموا بحملات تفتيشية  
عدوانية على العزل الشرفاء وسودوا وجه التاريخ بمظالمهم .  
فاستباحوا الحرمات . وأعدموا المئات بغير محاكمة .. وملئوا السجون  
بالابطال ... ثم توجوا «مفاخرهم» بآدم المشايخ: أحمد الشرقاوى  
وعبد الوهاب الشبراوى ويوسف المصيلحى وسليمان الجوسقى  
واسماعيل البراوى ، وثمانية من اخوانهم العلماء .. وكان اعدامهم  
سرا فى يوم ٤ من نوفمبر سنة ١٧٩٨ ...

وأبطلت مهزلة « الديوان » وأقيمت قلاع الارهاب فى كل  
مكان ..

### القلب الخفاق :

ولكن هل حبست السنة اللهب بعد هدأة القاهرة ؟ ..

كلا ... انها استعرت بدل أن تنطفىء ..

وقد استطاع الفرنسيون أن ينطلقوا فى آثار الريفين

المجاهدين الى الضواحي: والقرى القريبة ، وأن يعدموا الاعيان  
والمشايخ ويعتقلوهم .. ولكن قواتهم عجزت عن أن تنال من قلب  
الدلتا .. وتعرضت للهزيمة والخسران فى كل مكان من ذلك القلب  
الحفاق ..

اشتدت المقاومة فى المنوفية والغربية .. وأفسح التاريخ  
احدى صفحاته لقريتي غمرين وتتا حيث قاتل الرجال والنساء ..  
وضربوا أعلى أمثلة البسالة والفداء ... وهلكوا دون ديارهم قبل أن  
يمكنوا السفاحين من احراق القريتين الحالدين ..

وفى أوائل أكتوبر سنة ١٧٩٨ التهمت مدينة طنطا .. وكانت  
تزخر بالمجاهدين فى مولد السيد أحمد البدوى عندما قامت الثورة  
المسلحة فى ٧ أكتوبر ... ودارت رحى القتال بين الوطنيين  
والفرنسيين عدة ساعات ثم توارت السنة اللهب الى حين ..

وباغت الفرنسيون قرية عشنا فى الساعة الثانية من صباح  
يوم ٢٠ من أكتوبر سنة ١٧٩٨ فقامت الى السلاح ، وظل زعيمها  
أبو شعير ، يذود عن معقله حتى الرمق الاخير ..

وامتدت خفقات القلب الجريح جنوبا فهب الصعيد يسارع الى  
القتال ، ويتخذ مكانه فى الصفحات المجيدة التى كتبها الاحرار ..  
كان الفرنسيون قد احتلوا بنى سويف والبهنسا وتابعوا  
سيرهم الى أسيوط ثم عادوا أدراجهم الى الفيوم ..

وفى ٧ من أكتوبر سنة ١٧٩٨ بدأت المقاومة بمعركة  
سندمنت ... واستمرت جموع الوطنيين تضرب ضرباتها المتفرقة  
المباغته حتى قامت ثورة الفيوم .. ثم استأنف الفرنسيون الحملة  
على الصعيد فلقوا فى كل خطوة ما أذهلهم ..

كانت المقاومة الوطنية تنهض بها الجماعات ، وأحيانا كان يقدم  
عليها الأفراد .. وقد تناقل التاريخ قصة «المجاهد الصغير» بطل



حادثة القضاء . . وهو صبي حدث جال بمفرده بين جموع الفرنسيين وراح يتغافل الجنود ويستولى على بنادقهم .

وقد ألقى القبض على الغلام العجيب . . وعقدت الدهشة ألسنة القادة والجنود ، ولكن المصريين لم يدهشوا ، لان كل صبي في مصر كان ذلك المجاهد الصغير .

هل نمضى مع أجدادنا جنوبا الى أقاصى الصعيد ، أم نطوى سنة ١٧٩٨ لنبدأ عاما جديدا نتابع فيه هؤلاء الأجداد فى الجنوب والشمال ؟

لقد مضى ذلك العام الحافل بالجهود والتضحيات ، فكشف عن حقيقة الشعب المناضل ووجوه السادة الاحرار ، وهى حقيقة توارت طوال القرون الثلاثة وراء حجب الظلام .

### ألسنة اللهب :

وبدأ عام ١٧٩٩ والكفاح المستميت هو طابع الشعب المناضل ورائده ، والثورة المشبوبة يتسع مداها ليصل الى كل بقعة من ارض مصر . .

ولنمض فى سبيلنا جنوبا لنطالع قطرات الدم تغمر وجه الصعيد ، قبل أن نعود أدراجنا الى الشمال .

ان القوات الفرنسية تحتل أسىوط ، فتشتعل الثورة على طول الوادى بين أسىوط وجرجا . . وتنشب معارك سـوهاج ، وطهطا وسمهود . ثم تبلغ القوات الفرنسية مدينة أسوان فى أول فبراير سنة ١٧٩٩ فتتجمع قوات المقاومة فى جزيرة فيلة لتصلى المعتدين نيرانا لاتخمد .

ولا يكاد الفرنسيون يظنون أن الصعيد قد استكان ، حتى يتجدد القتال بين جرجا واسوان ، وتنشب معارك الدريسة فى ١١

من فبراير وقنا في ١٢ من فبراير وأبو منساع في ١٧ من فبراير  
واسنا في ٢٥ من فبراير .. وتسيل دماء الوطنيين ويشخن الفرنسيون  
بالجراح ..

ولا تفتقر مقاومة الصعيد .. فتتشب معركة «بارود» النيلية في  
٣ من مارس سنة ١٧٩٩ .. التي ألحق الوطنيون فيها بالأسطول  
الفرنسي كارثة ، وكبدوه ٥٠٠ قتيل والسفينة الحربية «إيتاليا» .  
ثم نشبت معركة الصوامع في ٥ من مارس ، ومعركة قفط في ٨ من  
مارس ومعركة أبنود في ٩ و ١٠ من مارس ومعركة بئر عنبر في  
٢ من ابريل ..

وهبت الثورة مرة أخرى بين قناوجرجا .. ونشبت معركة  
برديس في ٦ من ابريل فتقهقر الفرنسيون الى جرجا ، ثم نشبت  
معركة جرجا في ٧ من ابريل .. ثم واقعة جهينة .. وتأججت  
الثورة في بنى عدى ، ونشبت معركة أبو جرج .

وامتدت ألسنة اللهب الى المنيا وقامت معركتها الدامية التي  
استمرت أياما ثلاثة هي ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من ابريل من ذلك العام .

وتطايير الشرر الى أطيح .. ثم وقعت واقعة أسوان في ١٦  
من مايو .. وانطلقت شرارة عبر الصحراء الشرقية فقامت معركة  
القضير في ٢٩ من مايو .

ولنترك الصعيد في ملاحمه الخارقة .. لتتابع ألسنة اللهب  
في الوجه البحري مرة أخرى .

لقد بدأ عام ١٧٩٩ والسويس محتلة بالفرنسيين بعد أن أخلاها  
سكانها .. وزحفت الحملة الفرنسية على سورية .. ولحق نابليون  
بهذه الحملة في ١٠ من فبراير سنة ١٧٩٩ .. وليست تلك الحملة  
الفرنسية من وقائع هذا الكتاب .. ولكن نابليون عند احتلاله يافا  
وجد بها السيد عمر هكرم .. نقيب الأشراف في مصر الذي هاجر

منها عندما دهمتها الجيوش الفرنسية .. وعمر مكرم زعيم الوطنية المصرية الاول ، في هذه الفترة التي نستجلى تاريخها . وأول أعلام هذا الكتاب .. وقد أعاده نابليون الى القاهرة حين وقعت يافا في قبضته .

لقد مضى شهر على رحيل نابليون عن القاهرة ، وهي تخفى جذوة الثورة تحت أستار من الهدوء .. أما غيرها من القرى فلم تستطع أن تحبس اللهب في صدورها .

· ثارت الشرقية ووقعت واقعة بردين في أول مارس التي انتصر فيها الوطنيون .. وانتقم الأشرار بعدئذ من بردين فأحرقوها في ٦ من مارس .

وقام أمير الحج المصري الشيخ الفيومي بالدعوة الى الجهاد في داخلية البلاد ، وكان نابليون قد صحبهما معه في طريقه الى سورية فتخلفا في بلبيس .. وقد انضوى تحت لوائهما المشايخ والاهالى في كل مكان بلغاه .

وامتد اللهب الى الدقهلية مرة أخرى .. ومن منطقة ميت غمر امتد الى القليوبية .. وقامت في شهر مايو معارك متفرقة .. ثم معركة كفر نجم في ٥ يونيه .

ونفضت الاسكندرية والبحيرة ورشيد من غفوة الهدوء .. وكانت قومة رشيد في شهر مارس سنة ١٧٩٩ وقومة البحيرة في شهر ابريل .

في ليلة ٢٥ من ابريل هاجم الوطنيون حامية دمنهور الفرنسية وقتلوا رجالها جميعا .

وفي ٢٧ من ابريل قامت معركة في قطاع دمنهور الرحمانية وانتصر الوطنيون .. وانسحبت القوات الفرنسية الى الاسكندرية وفي ٣ من مايو نشبت معركة سنهور وانسحب الفرنسيون أيضا .



وعاد الفرنسيون الى دمنهور ، فاحتلوها فى ١٠ من مايو بعد  
فظائع دامية كانت نهايتها احراق المدينة الباسلة .

وفى ١٩ من يونيه هاجم الوطنيون سفينة حربية فى فرع  
رشيد تجاه طنوب وقتلوا «الجنرال دومارتا» .

وكان نابليون قد عاد الى مصر فى ١٢ من يونيه ، ثم قاد  
معركة أبو قير ضد العثمانيين فى ٢٥ من يونيه . . . وحين جاء القاهرة  
فى ١١ من أغسطس لم يلبث سوى أيام قلائل حتى غادرها خفية فى  
١٨ من أغسطس فى طريقه الى فرنسا التى كان الخطر محدقا بها  
والقلق يكتنفها .

ورحل نابليون عن أرض مصر فى ٢٢ من أغسطس مخلفا على  
رأس القوات الفرنسية الجنرال كليبر . . . وبدأت مرحلة أخرى من  
مراحل الجهاد .

### نهاية الفرنسيين :

ان نهاية سنة ١٧٩٩ قد شهدت فترة من الهدوء النسبى فى  
القاهرة وفى الأقاليم . . . فقد بدأت مساعي الصلح بين الأتراك  
والفرنسيين . . . ثم عقد الصلح فعلا فى ٢٤ من يناير سنة ١٨٠٠  
(معاهدة العريش) وتعهد الفرنسيون بالجلء فى مدى ثلاثة أشهر  
بلا قيد ولا شرط . . . ثم شرعوا يعدون عدة الرحيل . . . بعد أن  
أصلتهم الوطنية المصرية نيرانها منذ وطئت أقدامهم أرضنا الطيبة .

ولكن الانجليز – الذين كانوا وسطاء الصلح بين الفرنسيين  
والعثمانيين – أفسدوا كل شئ ، فقد أعلنوا عن عزمهم على قطع  
الطريق على الفرنسيين فى البحر ، وأسروهم ، فتخرج مركز كليبر  
وعز عليه الفرار . . . وفرض عليه أن يلقي أهوالا أخرى على أيدي  
الوطنية المصرية كان آخرها مصرعه .

وشهدت مصر ، الى جانب العدوان الفرنسى الذى دافعت به  
وقاتلته ، ألوانا من المظالم التركية التى طويت صفحتها منذ الاحتلال  
الفرنسى . . وأصبح الجيشان الدخيلان فى القاهرة وجهها لوجه  
فقامت بينهما الحرب من جديد ، على أراضينا وفى ديارنا .

وانتصر الفرنسيون على الأتراك فى عين شمس فى ٢٠ من  
مارس سنة ١٨٠٠ وتقهر العثمانيون الى بلبيس ثم الى الصالحية .  
ونفضت روح المقاومة فى القاهرة فى يوم ٢٠ مارس ذاته ،  
والمعركة دائرة بين الدخلاء . . وانضم الى الروس - السادات  
والمحروقي والجوهري - كبيرهم عمر مكرم .

ومرة أخرى انطلقت الشرارة الاولى فى بولاق . . ثم هاجم  
الوطنيون معسكر القيادة الفرنسية العامة . . واشتعلت المدينة كلها  
حماسا وتوثيا . .

وفى ٢١ من مارس انتظمت الثورة المسلحة طبقات الشعب  
عامة ، واتسع نطاقها . واستعرت جذوتها .

وفى ٢٣ من مارس عاد كليبر الى العاصمة وراح يبت سبوم  
الفرقة ويحاول مصالحة الأتراك والمماليك . . وخان المماليك - على  
دأبهم - تلك الأرض التى سقتهم رحيق السيادة وهم العبيد ، فعقدوا  
صلحا مع الفرنسيين فى ٥ من ابريل سنة ١٨٠٠ ، ولكن الوطنيين  
لم تهن عزائمهم بل شحنت منهم العزائم ، واستمروا على قتال  
الفرنسيين منذ عشرين مارس الى ٢١ من ابريل .

وفى خلال هذه الايام ، لم تحتبس قطرة دم وطنية عن البذل  
ولم يكف ساعد مصرى عن الجهاد ، ولم يصمت دوى المدافع ودمدمة  
الرصاص ساعة واحدة . . بل تقاطرت القنابل على المدينة الخالدة  
ولم تغف الأيدي الفرنسية عن اشعال الحرائق ، وتسليط معاول  
التدمير ، واقامة المذابح الوحشية فى كل مكان تمكنت منه .

وقد ألفت المدينة سلاحها صيانة للبقية الباقية من معالمها ،  
وارتكانا الى العهود التي قطعت والمواثيق التي أبرمت بين الجانبين . .  
ولكن الفرنسيين لم يلبثوا أن نقضوا تلك العهود والمواثيق ،  
فشرعوا يصادرون أملاك الزعماء ، ويفرضون الغرامات على الأهالي .  
وفي لحظة طيش ، اعتقل خائنو العهد محمد السادات وأهانوه  
فغلت مراجل الغضب في صدور الوطنيين ، وتسلس طالب علم في  
الرابعة والعشرين من عمره هو الشهيد سليمان الحلبي فرد الاهانة  
بطعنة خنجر وجهها الى صدر كليبر . . فأخمد انفاسه في ١٤ من  
يونيه سنة ١٨٠٠ .

وطاشت أحلام الظلمة العتاة ، وحاولوا أن يأخذوا بفعلة البطل  
الشاب شيوخ الأزهر وعلماءه . . ولكنهم لم يستطيعوا فاكثفت  
محكمتهم العسكرية بأن تقضى باحراق يد الفتى واعدامه على الحازوق  
وترك جثته طعاما للطيور واعدام ثلاثة من أخوانه الطلبة الأزهريين .  
وهكذا شهدت مصر لونا آخر من ألوان «العدالة» الفرنسية ،  
«والرقى» الفرنسي .

وأغلق الأزهر . .  
وانطلق الجنرال مينو خليفة كليبر يعيث في المدينة نهبا  
وارهاقا وتخريبا .

وفي ٨ من مارس سنة ١٨٠١ وصلت الحملة العثمانية  
الانجليزية الى أبو قير . . وكان الفرنسيون قد أمضوا ثلاث سنوات  
في مصر ، يتلقون طعنات المجاهدين المصريين ويستقبلون جموعهم  
المقاتلة في كل مدينة وقرية . . وفي كل صباح ومساء . . وكانت  
الجراح قد أثختهم ، وكانوا قد هموا من قبيل بالفرار من هذا  
الجحيم . . وهكذا كان طبيعيا أن يتراجعوا أمام الحملة الوافدة في  
معركة أبو قير ثم في معركة سيدى جابر في ١٣ من مارس .



ولكن الفرنسيين - وهم يتراجعون - كانوا قد عرفوا قاهرهم الأول . فراحوا يوجهون اليه سهام ضغينتهم وعدوانهم المغلوب . وكان قاهرهم الأول هم أبناء مصر المجاهدين . أولئك الذين أوهنوا قوتهم ، وكتبوا أول سطور هزيمتهم .

والتاريخ لم يذكرهم بأسمائهم . . والفن القصصى لم يحفل بأمجادهم لان التاريخ والفن كثيرا ما يتملفان السلطة والنفوذ . . وقد شغلا أقلامهما بنابليون وخلفائه ومعاونيه .

وذكر التاريخ أسماء بعض قادتنا الوطنيين - فى تلك الملاحم الدامية - ممن يتردد ذكرهم فى هذا الكتاب ، ولكن الوقود الانسانى المبرور لم تتسع له الصفحات ، ووسعته آفاق الخلود . . ووسعت دمائه المراقبة أرض الوطن العزيز . . ثم سرت بقية من هذه الدماء فى عروقنا نحن . . فى عروق عشرين مليوناً ييحتنون اليوم عن أجدادهم الأقربين .

وحلت نهاية الفرنسيين . .

وفى ٢١ من مارس سنة ١٨٠١ هزموا فى معركة الاسكندرية .

وفى ٩ من مايو هزموا فى الرحمانية .

وفى ١٦ من مايو هزموا فى الزوامل .

وفى ٢٧ من يونيه وقعوا اتفاقية الجلاء . . وجلوا فعلا عن القاهرة فى ٣١ من أغسطس وعن الاسكندرية فى ٢ من سبتمبر . .

وأخلى سراح المشايخ والعلماء والأعيان . . وتجمعت قوى النضال حول القادة الأقيال . . وبدأت مرحلة جديدة من مراحل النضال . . فجاهد آباؤنا وأجدادنا الأقربون . . الانجليز والأتراك معا ، وانتصروا عليهم جميعا .

## الوثبة الكبرى :

ان قوى الشر لتتنافس • ولكن الوعي القومى قد شب عن الطوق وبلغ أوج فتوته وصباه •

الأتراك والانجليز والمماليك يتربصون ، ولكنهم لا يحسبون الشعب حسابا • • ذلك الشعب الذى أوهن سـواعد الفرنسيين وجعلهم يتهافتون صرعى تحت الأقدام •

فالدولة العثمانية ترنو الى ماضيها الاسود • وتسعى الى استعادة سلطانها المفقود وجبروتها المنهار • • والانجليز يريدون أن يسيطروا نفوذهم على وادى النيل ، وأن يرثوا حليفهم الذى تصدع كيانه وتداعى بنيانه •

أما المماليك ، أولئك الذين استأثروا بخيرات مصر أجيالا وقرونا • واستلبوا ثروتها وابتزوا جهود أبنائها وخانوا شعبها المناضل على عهد العدوان الفرنسى - هؤلاء المماليك • • انهم ليترامون تحت أقدام الانجليز ، بعد أن مرغوا جباههم فى تراب الفرنسيين •

وأما الشعب المجاهد فكان قد تمرس بالجهاد ، فاجتمعت كلمة المتفرقين ، وتوحدت صفوف المبعثرين ، وأصبحت القيادة الشعبية تملأ الأسماع فى طول البلاد وعرضها •

ان فى كل قلب جرحا ، وفى كل نفس وخزا ، وفى كل بيت ضحية ؛ ولكل أسرة ثارا • • ولكن الأمة عرفت نفسها ، ولمست وجودها • وأصغت بأسماعها الى نداء الحكمة •

اجتمع فى القاهرة عمر مكرم ، ومحمد السادات ، وعبد الله الشرقاوى ومحمد الأمير • وسليمان الفيومى • ومصطفى الصاوى ومحمد المهدي • واحمد المحروقى • ممثلين لادارة الشعب مقررين لمشيئته • • ممسكين بزمامه •

واستقر الرأي على الاستعداد والترقب والتوثب .. ليضرب  
الشعب ضربته السديدة وسط معترك القوى الدخيلة .

وتتابعت الأحداث والقوة الشعبية صامته ترقب صراع  
الدخلاء .

عينت تركيا واليا لها على مصر ، وبدأ الأتراك يتآمرون على  
المماليك ، وبدأ الانجليز يسيطون حمايتهم على العبيد الأرقاء .. وفي  
ظل هذه الحماية شرعت وفود المماليك ترتحل الى الصعيد استعدادا  
لمنازلة الأتراك .

واستنجدت الدولة العثمانية بحليفها القديم - نابليون -  
فسحب الانجليز جيشهم الى الهند في مايو سنة ١٨٠٢ ولم يبق لهم  
سوى قوة في الاسكندرية .

وخلا الميدان للأتراك فجرد واليهم «خسرو باشا» حملة لقتال  
المماليك في الصعيد .. وجمع المماليك كلمتهم وواجهوا الأتراك في  
موقعة «هو» عند نجع حمادى .. ثم في معركة دمنهور .

وأوفد نابليون رسولا الى مصر في اكتوبر سنة ١٨٠٢ ليطالب  
القائد الانجليزى بالجلء ، فتراخت اجراءات الجلء .. ثم رضخت  
بريطانيا أخيرا فجلت عن مصر في ١٦ من مارس سنة ١٨٠٣ ولكن  
قواتها اضطجبت معها زعيم المماليك «محمد الألفى» لتنسج وياه  
خيوط مؤامرة تعيدها الى مصر ..

ولم تكد حماية الانجليز تنحسر عن المماليك حتى انسحبت  
جموعهم الى الصعيد .. واستقروا في المنيا .

## وقفة التاريخ :

ويتوقف التاريخ قليلا ليروى قصة جندي أمى من قولة، تسلل



فى ظلام المنافسة بين القوى الثلاث فلاذ بالقوة الكبرى ، قوة الشعب حتى قفز على أعناقها الى مقعد السلطة والجاه .

انه محمد على الذى قام مجده منذ صباه على الغدر والمخائلة والذى اعتز تاريخه المجيد بحادثة «براوسطة» فراح يستمد منها معانى الشجاعة والاقدام .

وكانت تلك القرية قد امتنعت عن دفع الضرائب ، فعز على حاكم قولة اخضاعها وليست لديه قوة قادرة على ذلك . . . . . وعقدت تقدم الجندى الصغير محمد على - الذى نشأ فى بيت الحاكم بعد وفاة أبيه - وصحب عشرة من الجنود الى القرية العاصية . ولكنه لم يدخلها محارباً ، بل تسلل اليها كالغرباء أو السائحين المسالمين . ولاذ بمسجدها متظاهراً بالصلاة .

ومن بيت الله - موطن الأمن والسلام - بعث برسول الى أربعة من أعيان القرية يدعوهم الى المسجد ، فسارعوا للقاء الوافد الغريب فانقض برجاله عليهم وكبلوهم بالحديد وهربوا بهم الى قولة .

وعندما سارع أهالى القرية لنجدة رءوسهم سدد محمد على ورجاله أسلحتهم الى الأعيان الأربعة ، وهددوا بإطلاق النار عليهم ، فكف الأهالى عن القتال . ودفعت القرية الضرائب فدية لأعيانها الأربعة .

وهكذا رقى محمد على الى رتبة بلوك باشى .

ثم ترك الجندية الى تجارة الدخان بعد أن تزوج باحدى الموسرات .

ولما شرع السلطان العثمانى يجهز جيشاً لمحاربة الفرنسيين فى مصر ، ضمه حاكم قولة الى القوات النازحة .

ومنذ وطئت قدماه أرض مصر . راح يتابع طريقته فاحتل

قلعة الرحمانية بحفنة من الرجال .. ولكن بعد أن انسحب منها  
الفرنسيون ..

وهكذا حصل على رتبة عسكرية بعد رتبة ، حتى بلغ رتبة  
اللواء .. ولم يكن ذلك غريبا في تلك الجيوش غير النظامية التي  
يجمعها السلطان جمع المتاع ، ويلقى بها في جهات الأرض . لتنتهب  
مايفى بأقوات أفرادها ورواتبهم .

ونعود الى الوالى التركى خسرو بعد جلاء الانجليز .. بعد هذه  
الوقفة القصيرة .

لقد دعا القوات التركية الى تجريد حملة لقتال المماليك في  
الصعيد ، فأثر محمد على السلامة ، وراح يؤلب الجنود الأرناؤود حتى  
تمردوا بدعوى المطالبة برواتبهم المتأخرة .. واشتدت الفتنة فانقلبت  
الى قتال في ٣٠ من ابريل سنة ١٨٠٣ ثم أثر محمد على السلامة مرة  
أخرى - في ميدان العصيان أيضا - فترك لزميله طاهر باشا فخر  
الانتصار بالجنود الأرناؤود على الوالى التركى .

وهرب خسرو الى دمياط ، فاختار المشايخ والعلماء قاهره  
طاهر باشا قائمقام في ٦ من مايو سنة ١٨٠٣ .

وقبع محمد على في ظلام الدس والتربص حتى ثار الانكشارية  
على طاهر باشا وقتلوه في ٢٦ من مايو سنة ١٨٠٣ بعد عشرين يوما  
من ولايته ، وعينوا واليا منهم هو احمد باشا .

وبموت طاهر تولى محمد على قيادة الجنود الألبانيين ، فسارع  
يتحالف مع المماليك ليعزلوا الوالى الجديد .. وقد عزلوه فعلا بعد  
مضى ٢٤ ساعة من ولايته .. وأصبح كبيرهم ابراهيم بك صاحب  
السلطان ، فلاذ محمد على بكنفه .. ثم مضى في ركاب البرديسى في  
الحملة على دمياط والقبض على خسرو ، وعندئذ نادى ابراهيم بك  
بنفسه قائمقام .

وعينت الحكومة العثمانية واليا جديدا هو علي الجزائري باشا الذي وصل الى الاسكندرية في يولييه سنة ١٨٠٣ ، فواصل محمد علي انضواءه تحت لواء البرديسي في جيش المماليك لاسترداد رشيد من أيدي الأتراك . . وسلمت رشيد في أغسطس سنة ١٨٠٣ ، وهم البرديسي بالزحف على الاسكندرية فانسلخ محمد علي وجنوده، عائدین الى القاهرة .

وسارع المماليك - بايعاز من محمد علي - الى دعوة الوالى التركى الى العاصمة لتقلد الولاية ، والى اعتقاله فى الطريق وقتله فى يناير سنة ١٨٠٤ .

وعاد محمد الألفى من انجلترا فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٤ فاحتدمت المنافسة بينه وبين البرديسي ووقع الشقاق بين المماليك . وتهيأ الجو ، فوثب الشعب وثبته الكبرى .

ثار فى وجه المماليك وكف طغيانهم بالسلاح . . وبدأ قاده يفرضون ارادته على تركيا بعد أن طردوا المماليك من القاهرة . . وعندما تخلت السلطة عن المماليك تخلى عنهم أيضا محمد علي وتسلسل فى جنح الظلام فتقرب الى العلماء والمشايخ وجاهر بانضمامه اليهم مع جنوده الأرنؤود .

وعينت الدولة العثمانية واليا جديدا هو خورشيد باشا فوصل القاهرة فى مارس سنة ١٨٠٤ وهدته عبقريته الى محاولات مفضوحة للتخلص من محمد علي فقرابه بذلك من قلوب الوطنيين .

استصدر فرمانا عثمانيا بعودة الجنود الألبانيين الى بلادهم ، فوقف العلماء فى وجه فرمان وأبقوا محمد علي فى مصر .

وحاول ابعاده الى الصعيد على رأس جيش من الجيوش التى أوفدها لقتال المماليك فأكسبه فى نظر الشعب صفة الأبطال ومجد آثار جرائمه حين انحاز الى أعدائه من قبل .

وطلب من الآستانة قوات جديدة يستعوض بها عن محمد علي وجنوده ، فأمدته بجيش من الأكراد كان أفرادهم أحسن من جنود محمد علي الأرناؤود .

وثار الشعب في وجه خورشيد ، دفعوا لظلمه وصحوا لسلطانهم وكفوا لحسة جنوده الأكراد . . وانتصر الشعب في ٢٩ من مايو سنة ١٨٠٤ فسارع محمد علي إلى القاهرة ووصلها في ١٩ من إبريل سنة ١٨٠٤ .

وقامت ثورة الشعب مرة أخرى في أول مايو سنة ١٨٠٥ . . ثم طالب القادة في ٩ من مايو بخروج الجنود الأكراد من مساكن الأهالي وحددوا مهلة لذلك ثلاثة أيام .

وانتهت المهلة في ١١ من مايو ولم يجل الجنود الأكراد ، فاجتمع الزعماء في ١٢ من مايو وقرروا اختصام الوالي في مجلس الشرع . . وقدموا إلى القاضي مطالبهم التي عرفت بوثيقة الحقوق الوطنية . ورفض خورشيد المطالب الوطنية فاجتمع وكلاء الشعب في ١٣ من مايو سنة ١٨٠٥ بدار المحكمة وقرروا عزله وتعيين محمد علي واليا على مصر «بشروطهم ومشورتهم» .

ورفض خورشيد أن يخلع بأمر الفلاحين .

واستكان محمد علي وانطوى خلف أستار التواضع ، ومنعه الجبن فلم يشترك في الحرب التي شنها الوطنيون بقيادة عمر مكرم علي خورشيد وجنوده . . وكذلك لم يشترك فيها جنوده الأرناؤود . بل اتخذوا عنها ولاذوا بالمعاذير .

واستمرت الحرب قائمة حتى أذعنت السلطنة العثمانية في أوائل يولييه سنة ١٨٠٥ لمشیئة الشعب فورد فرمانها - في ٩ من يولييه - بتثبيت محمد علي واليا على مصر «حيث رضى بذلك العلماء والرعية» .



وسلمت القلعة في ٥ من أغسطس سنة ١٨٠٥ ، وهرب جنود خورشيد الى الجيزة . وانتصر الشعب بعد طول جهاد ، ولكنه أجلس على عرشه ذلك الأفاق المغامر الذي استحل الغنيمة وقد جبن عن طلابها والذي تنكر للشعب وقادته ، وعض أكف الاحسان التي بسطت اليه .

### في وجه الانجليز :

ان الجو لم يخل بعد من عوامل التحفز وبواعث الجهاد . فالسلطنة العثمانية التي خضعت كارهة لارادة الشعب تتحين الفرص ، ثم ترسل عمارة بحرية الى الاسكندرية تصل أبو قير في ١٧ من يولييه سنة ١٨٠٥ بقيادة قبطان باشا ، ليفرض مشيئتها ان استطاع .

والسياسة الانجليزية تؤيد صنيعتها محمد الألفي وتمدد له حبال الرجاء وتسعى للمحالفة بين الأتراك والمماليك ضد ارادة الشعب عسى أن تنكسر شوكته فتفتقرسه مقصوص الجناح .

ومحمد على يلوذ بقيادة الشعب ، ويحرق - في الوقت نفسه - بخور الملق والرياء للباب العالي .

وتتكشف قوة الشعب لعيني قبطان باشا فينقلب الى الاستانة في اكتوبر سنة ١٨٠٥ . ويلتزم محمد على حدوده التي أعلنها الزعماء حين وضعوه في منصب الولاية ، فيرجع اليهم في فرض الضرائب ، ويمس في صدورهم أوتار الوطنية فيدعوهم للاكتتاب في رواتب الجند المتأخرة كي يرسلهم الى بلادهم ويخلص مصر من شرورهم ، فيبذلون له بذل السخاء ، ولكنه لا يخلصهم من جنوده الأشرار .

وتأكدت مكانة الزعماء فأصبحوا ملجأ الشعب وملاذه .

واستطاعوا أن يخففوا الضرائب ويدفعوا المظالم .. وكان كبيرهم  
عمر مكرم قد رفض ولاية المناصب وبقي يمثل ارادة الشعب في رقابته  
على محمد علي وتصرفاته .

وقامت الحرب بين المماليك ومحمد علي في سنة ١٨٠٦ وظلت  
سجلا ، فناصرت الدولة العثمانية أولئك المماليك اذ أصدرت فرمانا  
بتولية موسى باشا على مصر ومحمد علي على سـلـانيك والعفو عن  
المماليك ، ووصلت عمارة تركية الى الاسكندرية في أول يولييه سنة  
١٨٠٦ لتراقب تنفيذ ذلك الفرمان .

وتظاهر محمد علي – على طريقته – بالامتنال لمشيئة السلطان  
ولكنه تباطأ مطالبا بالرواتب المتأخرة للجنود .. ثم لجأ الى عمر مكرم  
والزعماء الوطنيين .

واجتمع المشايخ والعلماء وقرروا الاعتراض لدى الباب العالي .  
ولم تفلح معهم محاولات قبطان باشا ممثل ادارة السلطان فاعتمد  
على المماليك .

وقامت الحرب بين الجانبين .

وفي هذه المرة حارب محمد علي في جانب الشعب دفاعا عن  
سلطته .. ولكن محمد الألفى هزمه في واقعة النجيلة في ١٢ من  
أغسطس سنة ١٨٠٦ .

أما قوات المقاومة الشعبية .. أما الجيش الوطنى والقيادة  
الوطنية ، فقد عزت على المماليك والعثمانيين وانتصرت عليهما معا .  
حاصر محمد الألفى دمنهور ، فاستبسلت قواتها الشعبية في  
الدفاع حتى جاءها المدد من عمر مكرم .. فارتد عنها الألفى ومماليكه  
خائبين .. وأدركت السلطنة ان ارادة الشعب أقوى من ارادتها ،  
فبعثت بفرمان تثبت به محمد علي في ولاية مصر ، بناء على رغبة  
الشعب ، وأقلعت العمارة التركية في ١٨ من اكتوبر سنة ١٨٠٦ .

ومات البرديسى فى ١٩ من نوفمبر فخلا الجو لمحمد الألفى  
صنيعة الانجليز . . وبدأت مرحلة التنفيذ لتلك المؤامرة التى أعدها  
الانجليز وصنيعتهم فى لندن .

كان المملوك الحائن يتربق قوات الغزو الانجليزية ليدلل لها  
طريق الاستعمار ، وكان يربط بجنوده فى شمال البحيرة على مقربة  
من الاسكندرية . فلما طال به الانتظار ، واستعصت عليه المدائن  
والقرى ، وأوشكت أن تقوم فتنة بين جنوده ، فقد الأمل فى سادته  
الانجليز وانقلب بجيوشه الى الصعيد . . ثم أدركته الوفاة فى  
شبرامنت فى ٢٨ من يناير ١٨٠٧ .

عندئذ زحف محمد على بجنوده الى الصعيد فهزم المماليك فى  
أسيوط .

وجاءت الحملة الانجليزية فى ١٤ من مارس سنة ١٨٠٧ . .  
وفى ١٦ من مارس احتلت القوات الانجليزية مدينة الاسكندرية دون  
مقاومة ، مقابل رشوة قدمتها لمحافظة التركى أمين أغا .

وفى ١٧ من مارس وصلت بقية الحملة ونزل جنودها الى أرض  
مصر ، وتقدمت قواتها الى داخل البلاد معتمدة على محالفة المماليك  
ولكن المماليك كانوا فى الصعيد ، وكذلك كان محمد على وجنوده  
فخلا الميدان الا من قوات المقاومة الوطنية .

وفى ٣١ من مارس وصل الانجليز الى رشيد فهزمهم جيش  
الشعب شر هزيمة .

وتمكنت من الشعب نوازع الثقة بعد تلك الموقعة ، ومنى  
المماليك بصدمة أقعدتهم عن الحراك .

ودعا داعى الجهاد ، فى وجه العدوان الانجليزى ، ونظم التطوع  
والاكتتاب وتآلفت القوى واكتملت العدة . . وكانت القيادة الوطنية  
عالية المكانة ، مسموعة الكلمة .

وسرعان ما منى الانجليز بهزيمة أخرى منكرة بأيدي الوطنيين  
في واقعة الحماد في ٢٠ و ٢١ من ابريل سنة ١٨٠٧ .

وكان محمد علي قد سارع الى العودة الى القاهرة ليستلب بعض  
الأمجاد ، وبعث بعض رجاله الى البحيرة فوصلوا الحماد بعد انتصار  
الوطنيين ، ولكنهم عنوا بأن يسوقوا أسرى الانجليز الى القاهرة  
ليتلقوا مكافأة سيدهم ، وليسيروا في مواكب المنتصرين .

وامتنع القائد الانجليزى وقواته بالاسكندرية يرتقب معونة  
المماليك . . فلما تقطعت به الأسباب بعث الى محمد علي يطلب الصلح  
على الجلاء . . فسار محمد علي الى دمنهور حيث التقى برسول الانجليز  
للمفاوضة . . وعقد معاهدة الصلح والجلاء في ١٣ من سبتمبر سنة  
١٨٠٧ وسارع الانجليز الى عرض البحر في ١٩ من سبتمبر .

ولقد كان الشعب المصرى صاحب الجهد الأول في طرد  
الفرنسيين . . ثم انتصر على تركيا وأخضعها لارادته . . وهو اليوم  
ينتصر على الانجليز ويطردهم من أراضيه . . وتتهيا له كل مقومات  
الاستقلال ، بعد هذه الحلقة الجاهدة من حلقات نضاله .

ولكنه - وبالأأسف - كان قد ألقى مقاليد أموره الى « دخيل »  
وكان قاداته قد عفوا عن ولاية المناصب الدنيوية ، وركنوا الى ذلك  
الوافد المخاتل الغادر .



الحلقة الثانية

عقوبة شريرة



## طاغية جديد

كان الشعب المناضل قد فقد قرابة نصف مليون من أبنائه . . من أولئك الملايين الثلاثة الذين بدءوا نضالهم منذ عشر سنوات عندما غاد محمد علي بجنوده الأشرار الى القاهرة في اكتوبر سنة ١٨٠٧ . . وقد أعفته المقاومة الشعبية من نضال الانجليز . . كفت عدوانهم بأيديها ودمائها .

وكان الشعب قد طهر أرضه الطيبة من الفرنسيين والأتراك والانجليز ، وكسر شوكة المماليك . . ولكن هذه الارض الطيبة لم تطهر بعد . . فقد أصبح جنود محمد علي آفة على الأمن والنظام ، أولئك المرتزقة الذين استناموا مع قائدهم حين بذل الشعب أرواح بنيه . . ثم انقلبوا يتهددون الناس في أموالهم وأمنهم . . ويتهددون قائدهم الذي نبت من صفوفهم .

وقامت فتنة الجند في ٢٨ من اكتوبر حين أطلقوا النار على سراي الأذربكية ، مقام محمد علي في ذلك الحين .

وفي ٢٩ من اكتوبر تسلل محمد علي في جنح الظلام الى قلعة صلاح الدين يتحصن بأسوارها من بطش زملائه الأشرار .

واكتب الأهلون في رواتب الجنود . . فهدأت الفتنة واستعاد محمد علي سلطته واسترد أنفاسه . . ولكن الأرض الطيبة لم تتطهر بعد . . فقد انقلب الجندي الأمي الغادر المخاتل حربا على الشعب الذي ولاه .

وكان أول أسلحة سموم التفرقة والوقية بين القادة الوطنيين  
وآثاره المنافسة بين المشايخ على عرض زائل .. فقد تملق بعضهم  
وآثرهم بمنافع الحياة الدنيا وشغلهم بنعيمها .. فابتعدوا عن  
الشعب المجاهد .. أما الباقيون منهم على الزهد والكرامة فقد رفض  
لهم كل رأى .. وضرب باعتراضاتهم على مظالمه عرض الأفق .

ومضت سنة ١٨٠٨ .

وفي سنة ١٨٠٩ زاد أعباء الضرائب ، وهي ثقيلة ، فشكت  
جماهير الشعب الى العلماء والمشايخ .. وفي ٣٠ من يونيه من ذلك  
العام عقد السيد عمر مكرم اجتماعا وطنيا حضره العلماء والمشايخ .  
وكتبوا عريضة استنكار وقرروا مقاطعة محمد علي مقاطعة اجماعية .

وسلك محمد علي كل سبيل ليجتمع بعمر مكرم .. فرفض  
عمر مكرم وتوعده بأن يجمع كلمة الشعب لينزله عن كرسيه الذي  
أجلسه عليه .

ومضى محمد علي في وسائله الخسيسة .. يداهن ويرشو ..  
ويستميل .. ويعقد الاجتماعات والمؤامرات تحت أستار الظلام ..  
ولكن عمر مكرم ظل على صلابته وتمسكه بمطالب الشعب .

ثم خطا الزعيم الوطني خطوة ايجابية فرفض الموافقة على  
حساب مأنفقه محمد علي ، وأبدى شكه في بعض بنود هذه النفقات  
وأفصح عن وجود اختلاس وتزييف في ذلك الحساب .

وبعد أن نبتت بذور الفتنة التي نثرها محمد علي ، وأحكمت  
حلقات الخديعة ، ومالت بعض النفوس الضعيفة تحت سلطان البذل  
والاغراء .. وتمرغت بعض الكرامات في النعيم المادي القسائل  
للكرامات .. لجأ محمد علي الى الاحتكام الى القاضي والمشايخ ..



فرفض عمر مكرم أن يحتكم على حقوق الشعب ، وأن يكون حكامه من هؤلاء الناكسين المرتدين .

ولكن المسرحية مثلت فى ٩ من أغسطس سنة ١٨٠٩ فى غيبة عمر مكرم ، وتقرر فيها عزل القائد الوطنى المناضل من نقابة الاشراف ونفيه من القاهرة .

ونفى عمر مكرم الى دمياط .

وعندما انتصر له ولحقوق الشعب الشيخ الطهطاوى عزل من منصبه .

أما الشعب فقد تملكه اليأس حين تفرقت كلمة الزعماء ، والشعوب تهن عزيمتها بمعاول الدس والوقية أكثر مما تهن بأى سلاح بتار .

وانفرد محمد على بالحكم بعد أن أفلحت عبقريته الفادرة الشريرة فى شق الكتلة المتماسكة . . كتلة المشايخ والعلماء ، الممثلة لارادة الشعب وكلمته .

### صراع اللصوص :

لقد أمضى محمد على قرابة خمس سنوات فى منصب الولاية ، وكانت مدتها من قبل سنة واحدة لم تكتمل الا قليلا ، ولم تتكرر الا أقل من القليل . . وكان سنده فى البقاء قوة الشعب ومشيتته وقيادته ، فلما تمكن من كرسية بدأ يناصب الشعب العداء ، وينكر مشيتته ، ويبعد قيادته . . ثم بدأ يعمل على التخلص من المماليك فى الصعيد ، فصالحهم فى نوفمبر سنة ١٨٠٩ على الإقامة فى القاهرة .

ومضى عام ١٨١٠ .

وفى أول مارس ١٨١١ بلغ محمد على حضيض الغدر والحيانة ؛

وان يكن قد خلص البلاد من ساداتها العبيد ، فكانت مذبحة القلعة .  
التي شاركه في وزرها حسن باشا قائد جنود الأرنأود ومحمد  
لاطوغلى الخازندار ، وصالح كوش أحد الضباط ، وابراهيم أغا  
حارس باب القلعة .

لقد خلصه الشعب من نفوذ تركيا ، ومن عدوان الانجليز ، ثم  
خلصه غدره من القيادة الشعبية ، ومن المماليك . . وبقي عليه أن  
يتخلص من جنود الأرنأود ليستقيم له الأمر . ولكنه شاء أن يتخلص  
منهم ومن روح النضال في الشعب نفسه . . مرة واحدة .

وبحجر واحد صاد العصفورين الباقيين . .

راح يسوق المصريين ، وبقيّة جنود الأرنأود ، الى حروب  
عدوانية طائشة ضالة . . فساقهم الى الحرب الوهابية ، وألقى بهم  
في جزيرة العرب ، بدعوى الاستجابة لنداء تركيا التي نفضنا عنا  
سلطانها منذ حين .

واستمرت هذه الحروب القاسية المجرمة من سنة ١٨١١ الى  
سنة ١٨١٩ ، وبلغت خسائر المصريين فيها - برغم النصر الذي  
لاقيمة له ولا غاية - ثمانية آلاف قتيل .

وساقهم الى فتح سيوه سنة ١٨٢٠ وهى من أرض مصر .  
ليضمها الى رقعة نفوذه وطغيانه .

وساقهم الى السودان فى سنة ١٨٢٠ أيضا ، ليستلب أرض  
الجنوب كما استلب أرض الشمال ، وليبحث له أبناء مصر عن مناجم  
الذهب والماس ؛ وعن مخابىء المماليك اللاجئين الى السودان . .  
وليجند السودانين الأشداء ليحلهم محل الأرنأود .

وساقهم الى حرب اليونان ، استجابة لدعوة السلطان محمود  
لاخماد الثورة اليونانية . . فجرد حملات الى كريت ، والمورة ،  
وشواطىء الأناضول . . وظل يلقي اليها بالوقود المصرى من سنة

١٨٢١ الى ١٨٢٨ فواجه معركة نفارين وهزمت تركيا وفقدت مصر أسطولها . . وعاد الجيش المصرى من اليونان ١٢ ألفا وقد ذهب اليها ٤٢ ألفا .

وساقهم الى سورية ليرث فيها سلطانه المهزوم ، وبدأت الحملة المصرية فى اكتوبر سنة ١٨٣١ وانتهت بانتصار المصريين على الاتراك فى يولييه سنة ١٨٣٢ .

تم ساقهم الى الأناضول فانتصروا فى واقعة قونية فى ٢١ من ديسمبر سنة ١٨٣٢ . . وعقدت اتفاقية كوتاهيه فى مايو سنة ١٨٣٣ وتخلي السلطان عن عرش سورية واقليم أدنة ، مع تثبيت محمد على على مصر وكريت والحجاز . . وذلك كله مقابل جلاء المصريين عن الأناضول .

هل كسب محمد على لمصر شيئا من وراء هذه الحروب ؟ اللهم ان مصر هى التى كسبت له عروشا لم يستطع أن يستبقياها .

فقد ثارت سورية فى وجهه ، وحاولت تركيا أن تستعيدها ، فقامت الحرب السورية مرة أخرى فى ٢٤ من يوليو سنة ١٨٣٩ فانتصر المصريون ولكنهم فقدوا أربعة آلاف قتيل وجريح .

وتوفى السلطان محمود فى يولييه سنة ١٨٣٩ فتقدم ابراهيم ابن محمد على لينتهب لأبيه عرش السلطنة . . وتم تسليم الاسطول التركى فعلا . . فهبت الدول الأوروبية فى وجه الزحف العلوى وعقدت معاهدة لندرة فى ١٥ من يولييه سنة ١٨٤٠ وهى التى تخول محمد على حكم مصر وجنوب سورية مدى حياته ، وتعترف لحلفائه من بعده بولاية مصر من قبل السلطان مقابل جزية سنوية . . وتقرر إخلاء كريت وبلاد العرب واقليم أدنة واءادة الأسطول التركى للسلطان .

ورفض محمد على أن ينحسر سلطانه ، فهبت الدول المتحالفة

لحربه في أغسطس سنة ١٨٤٠ واستمرت ثورة سورية على حكمه ..  
وأخيرا أخلى سورية .. وجزيرة العرب وقنع بولاية مصر مدى  
حياته وتوارث هذه الولاية في سلالته .

### خديعة التاريخ :

لقد قامت حياة محمد علي على الخيانة والفدر ، ثم امتست  
خديعته الى التاريخ فسجل كل هذه الوقائع التي سردناها ، ولكن  
المؤرخين حملوها مالا تطبيق .

ارجعوا النصر الذي أحرزته صلابة المقاتلين المصريين وحنكتهم  
وشجاعته الى عبقرية محمد علي ، ذلك الذي وفد على مصر جنديا  
مرتزقا فتعلم من الشعب المصرى معانى الشجاعة والاقدام .. تعلم  
المعانى ولم يتعلم الافعال .

وكان على محمد علي لكى يعيش أن يكف عن رأسه سيوف  
الأرناؤود من جنوده .. فكون جيشا من المصريين .  
وكان عاجزا عن مواجهة القوة الشعبية الغالبة ، فراح يبعثرها  
ويبددها فى ميادين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

عندئذ سجل المخدوعون مرة أخرى فصولا طوالا عن فتوحاته  
ونسوا أنها فتوح عدوانية آثمة ملتاثة .. وأن الشعب الذى نهض  
بها كان أولى بدماء أبنائه ، وأرواح شهدائه ، بعد أن خرج من معركة  
الاستقلال التى امتدت عشر سنوات طوالا .

وكان حتما على محمد علي ، لكى يكون جيشا وأسطولا ، أن  
ينشئ المدارس الحربية ، والمصانع والترسانة .. وأن يوفد البعثات  
البحرية .

ولكن خديعة التاريخ بلغت حدا مروعا ، حين زعم الزاعمون



حتى من الكتاب الوطنيين ، ان محمد على وضع حجر الأساس في  
«استقلال مصر» .

ان دماء المصريين المسفوكة طوال عشر سنوات هي التي صنعت  
استقلال مصر ، وقد أجلسوا في مقعد الولاية ذلك الأفاق ، بعد أن  
أقاموا دعائم الاستقلال ، بفرض ارادتهم على العثمانيين ؛ ثم طهروا له  
الأرض من العدوان الانجليزى . . فاذا به يعود من أحلامه العدوانية  
واليا عثمانيا ملتزما بجزية سنوية للسلطنة العثمانية .

فلعل المخدوعين يقصدون أن محمد على «قد استقل» بمصر  
وجعلها ضيعة يملكها ويورثها ابناءه من بعده .

والمؤرخون المخدوعون لم يستطيعوا أن يبرروا طريقة محمد  
على في حكم مصر . . ولا أن يلبسوها ثيابا تدارى سوءاتها .

استأثر محمد على بأراضى مصر قاطبة ، وأخذ أملاك المماليك  
وألغى نظام الالتزام ، وأضاف ذلك كله الى ملكيته الخاصة . . ثم  
أقطع بعض الأعيان ورجال الدولة والجيش والموظفين أراضى بورا  
لأصلاحيها وزراعتها وهي «الأبعديات» التي كانت فى ذلك الحين  
«مبعدة» من الزمام . . كما أقطع أفراد أسرته وحاشيته «شفالك»  
فوسع فى مساحاتها من تلك الأبعديات .

وهكذا أعاد محمد على مسببة الاقطاع فى صورة أبشع مما كانت  
فى عهد الظلام .

وألغى محمد على «الالتزام» ولكنه اصطنع بديلا له هو نظام  
«العهد» الذى جعل فى عهدة المأمورين والأعيان ورجال الجهادية  
تحصيل الاموال .

ولم يقنع بامتلاك الارض فامتلك من عليها . . . وفرض ضريبة  
الرءوس على كل ذكر بلغ سن الثانية عشرة . .

واحتكر الحاصلات الزراعية والاتجار فيها ..

واحتكر الصناعة ..

وأقام طبقة « ارسطقراطية » حاكمة من أفراد أسرته وبنى  
جنسه ، واغتصب السيادة ليخلعها على العصر الدخيل ..

### ذروة العبقرية :

ولا ينكر أحد أن «محمد على» نهض بالتعليم ، وأوفد البعث  
وعنى بأعمال الري والزراعة وأنشأ الترغ وقناطر ضبط النيل  
وأدخل زراعة القطن وأقام دعائم الصناعة ..

ولكنه لم يكن عبقرى كما وصفه المخدوعون والمخادعون . ولا  
كان وفيا للشعب الذى ولاه زمامه بارادته ومشيئته . بل كان  
صاحب ضيعة خصبة ذات موارد طبيعية موفرة وقوى انسانية قادرة  
فأحسن استغلال ضيعته .. بل « أحسن » ابتزاز مواردها وحيوية  
أبنائها ..

وانما اقتصرت عبقرية محمد على على الشر والجريمة ...  
فكان عبقرى الغدر ..

كذلك كان عبقرىا لانه مات مجنونا ..

وكل مجنون من الفقااعات التى طفت على وجه الزمان وتلقفها  
التاريخ فى انتفاخها الاجوف – لا بد أن يكون عبقرىا .

وقد بلغ محمد على ذروة العبقرية فى شهر ابريل سنة ١٨٤٨  
حين أصابه الجنون الصريح ولم يفلح فى شفائه دواء .. فعقد مجلس  
خاص برياسة ابنه ابراهيم .. وأبلغ الامر الى الباب العالى فبعث  
بفرمان الولاية لابراهيم .. الذى شككت المراجع التاريخية فى صحة  
نسبه الى محمد على ، وقالت انه ابن زوجته من زوج سابق .

وطويت صفحة محمد على وهو لم يزل بعد على قيد الحياة .  
ولكن بعد أن توطن الداء الوافد وتكاثرت حويصلات جراثيمته ..

وخضع الشعب للعت والارهاق والظلم والبغى ... لانه هو  
الذى صنع الطاغية المعربد .. وقد كان له العذر ..

نعم .. فقد كان محمد على - عندما بلغت اليقظة الوطنية  
منتهاها على عهد عمر مكرم - يعانى مركب نقص شديد .. أخذ  
يتضاعف ويستفحل على مدى السنين حتى أفضى به الى الجنون ..

كان وليد المحسوبية والزلفى فانهاز الى طلاب العدالة وأنصار  
الحق .. ولبس مسوح العدول الشرفاء ..

وكان جنديا غير نظامى ممن يجمعون كالمناج وأصبح لواء ..  
فانفعل فى باطن نفسه الى حاكم بأمره ..

وكان ربيب بيت غير بيت أبيه .. فتطور فى باطن نفسه الى  
سيد .. بل الى مالك للأرض وما عليها ومن عليها ..

وكان جبانا فانتهب شجاعة الشجعان وبطولة الأبطال من  
المقاتلين المصريين ...

وكان ثمرة كفاح الشعب ووليد ارادته ... فصنع لنفسه  
ارادة ، وأصبح مثلا زريا للاستبداد والكبرياء ... وقد أنشأ مجلسا  
للمشورة لم يجعل له سلطانا فى أى شأن من الشؤون ...

وكان نكرة فكون بيتا ارستقراطيا ..

وكان مجنونا فاستعبد جموع العقلاء ..

**علو جديد :**

لقد كان هذا الشعب المناضل - منذ تخلص من أعدائه -  
جديرا بأن يتابع وثبته .. وأن يرقى فى مدارج الكرامة والاستقلال

الى الذروة ... وأن يفيد من هذه الجهود المبعثرة والدماء المبدولة ..  
ولكن عدوا جديدا واجهه ... ممثلا في محمد علي وسلالته ..

على أن جذوته لم تنطفىء... بل أن مظالم هذا البيت الدخيل  
قد نفضت عنها التراب ، فعادت الى توهجها بعد حين ... وعندئذ  
كان العدو الجديد قد سارع يتراعى تحت أقدام المستعمرين ..

تولى ابراهيم حكم مصر في شهر ابريل سنة ١٨٤٨ ومات  
في ١٠ من نوفمبر سنة ١٨٤٨ فحسبت فترة ولايته بالشهور ...  
ولذلك تلفت التاريخ العقيم الى الوراء ، ليتعقبه في ميادين الحرب  
على عهد أبيه، وليسلكه في عداد الابطال ... وليكتب بدماء الشهداء  
المصريين صفحات صارخة تحمل اسمه العريض ..

وتولى بعد ابراهيم عباس الاول ... في حياة جده المجنون ..  
فأصيبت البلاد على يديه الآثمتين بنكسة أعادت الى الازهان ذكرى  
عهود الظلام التركي ...

كان يعاني شذوذا فأحاط نفسه بالغلمان والفتية من الاتراك  
والمماليك .. واعتزل واياهم خلف جدران قصوره القصية التي أوغل  
بها في أعماق الصحراء ..

وكان مثلوم الخلق فاشتدت ضغينته على الناس كافة ..  
وأساء الظن بهم .. وركبته الوسوس والهواجس .. فأكثر النفي  
الى السودان الجنوبي ، ومصادرة الأملاك .. والبطش والفتك  
والعدوان ..

وكان مظلم النفس والعقل فأقصى الخبراء الاجانب ، وألغى  
المدارس العالية والثانوية والابتدائية وأغلق أبوابها ونفى الى  
السودان علماء مصر كرفاعة رافع ومحمد بيومي ... وألغى البعثات  
وأستدعى اعضاءها ..



وخضع للتدخل الاجنبى .. فأنشأ بمشورة الانجليز السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة .. ليسلك الانجليز سبيلهم الى الهند من طريق مصر ... وليبهر السلطان عبد العزيز فى زيارته لمصر ... فلم يكن قد رأى فى حياته قطارا بخاريا ..

وأهمل شأن الجيش ، ثم أدمج فيه ستة آلاف جندى أرناؤودى جعلهم خاصة جنوده حتى أصبحت لهم الصولة والنفوذ ، وشمخوا بأنوفهم على المصريين شعبا وجندا ...

وأهمل البحرية ، وعطل الترسانة ، ومع ذلك ساق الجيش والاسطول كليهما الى حرب القرم فى سنتى ١٨٥٣ و ١٨٥٤ ..

وظل فى سبيله المعوج وسيرته المشوبة ، حتى كسب كراهية الشعب كله ، وكراهية البيت الذى أنبته أسوأ نبات ..

وأخيرا قتله فتياناه فى قصره ببناها فى ليلة ١٤ من يولية سنة ١٨٥٤ .

### تحول موقوت :

وتولى بعد عباس الاول عمه سعيد .. وكان قد نال حظه من ظلم ابن أخيه وبغيه فاقترب من الشعب ، ولذلك بدأ عهده ساعيا الى الإصلاح ، مناهضا للظلم والارهاق .. فوضع اللائحة السعيدية التى حولت الفلاحين حق الملكية العقارية للاراضى الزراعية لأول مرة منذ عهد محمد على .. وألغى احتكار الحاصلات الزراعية وخفف من أعباء الضرائب وسمح للزراع بأن يوفوا ضرائبهم نقدا بعد أن كانت تنهب منهم حاصلاتهم ، وأعفى الزراع من المتأخرات القديمة .

وهكذا فترت روح العداء بين الشعب وحاكمه ... وانتفت أسباب الوثبة الشعبية التى كانت منتظرة بعد سنوات من جنون محمد على وظلم عباس الاول ... وأصاب المجاهدين خدر موقوت ،

وخاصة حين عاد سعيد بالجيش الى صبغته الوطنية ، وشرع التجنيد  
الاجبارى للجميع ، وأفسح للضباط المصريين سبيل الترقى الى  
الرتب العالية التى كانت وقفا على الترك والجراكسة ..

### لوثة الدم :

ولكن الدم الدخيل الذى جرى فى عروقه متحدرا من المنبع  
الملثا لم يفتأ حتى باعد بينه وبين الامة التى انحدر ابناءؤها من  
منابع طهرتها الأحداث ..

فقد ركن الى الاوروبيين ... وأصغى للفاقين منهم ...  
واستدان من البيوت الاجنبية ليغضى نزوات اسرافه وبذخه .. حتى  
مكنهم من مرافق البلاد .. بل ومن سلطة الدولة وسيادتها .

وأفسح صدره للشركات الاجنبية ، فانشئت شركة أجنبية  
للملاحة النيلية ... وشركة مختلطة للملاحة البحرية ..

وقد أرسل المدد للجيش المصرى الذى أقحمه سلفه فى حرب  
المورة .. والذى راح يعاني الشدائد فى شتاء ١٨٥٤ - ١٨٥٥ حتى  
استشهد الكثيرون من رجاله ... وعلى رأسهم قائده العام سليم  
فتحى .. كما غرق قائد الاسطول حسن باشا الاسكندرانى ..

ثم القى سعيد بقوة من الجيش المصرى - بقيادة البكباشى  
جيرة الله محمد السودانى - فى حرب المكسيك فى اقاصى الدنيا  
الجديدة - مجاملة وزلفى لصديقه نابليون الثالث .. فى حربه  
العدوانية العقيمة ..

وأهمل سعيد شئون التعليم .. فاستمر الشلل الذى أصابهما  
فى عهد عباس الاول ، وزاد سعيد أن الغى ديوان المدارس ( وزارة  
المعارف ) ومدرسة المهندسخانة والمدرسة الثانوية العسكرية -  
التي أنشأها عباس الاول - وأنشأ بدلا منها مدرسة حربية ، ثم

عاد فافتتح المهندسخانة وجعلها مدرسة حربية وأغلق مدرسة الطب  
ثم أعاد فتحها ..

ومع ذلك فقد ساعد البعثات الدينية الأجنبية ، كالبيون  
ياستور وراهبات الصدقة والبعثة الامريكية والمدرسة الايطالية ..

وكان سعيد ، برغم بدايته الطيبة ، وبرغم تهالكه وخوره  
وتردده ، حاكما مطلقا يجمع في يديه كافة السلطات في الدولة ..  
التنفيذية والتشريعية والقضائية .. منكرا لسيادة الشعب ، كافرا  
بحقوقه . وهو الذى بدأ حكمه متمشدا بالعبارات الرنانة  
الجوفاء ..

تم اختم عهده بجريمة قناة السويس ، انصياعا لمصالح  
التجارة الدولية ، والاستعمار الاوروبى .. بل لمصلحة المسيو  
دبليسبس .. وهو يعلم أنها « البسفور الثانى » الذى يعرض مصر  
واستقلالها للخطر .. وأسرف فى منح الامتيازات لشركة القناة ،  
حتى قدر المؤرخون الاوروبيون أنه ترك أمر تحرير العقد لصديقه  
ديليسبس ممثل الشركة وداعيتها ..

وسخر الفلاحين والجنود لحفر القناة .. كى تتحول التجارة  
الدولية من داخلية البلاد الى ذلك المجرى المائى الذى تنفرد بأرباح  
استغلاله شركة أجنبية .

وكان سعيد كذلك رائدا فى عقد القروض الاجنبية، التى جرت  
على البلاد على يدى خليفته أفدح الويلات .. فعقد أول قرض بقيمة  
اسمية مقداره ثلاثة ملايين ومائتان وخمسون ألف جنيه .. ولكن  
قيمتة الفعلية اقتصرت على مليونين وأربعمائة ألف جنيه فى حين بلغ  
مجموع الاقساط والفوائد ثمانية ملايين من الجنيهات ..

ثم ساقه اسرافه وبذخه الى ابتداع طريقة الصكوك على  
الحزاة .. وانطلق يستدين من المرابين كيف يشاء ، مقابل صكوك

على الخزانة . . بلغت فى عهده ثمانية ملايين من الجنيهات وسميت فيما بعد « الديون السائرة » . .

وأضاف سعيد الى مغبة الديون الاجنبية مغبة الملاينة والاستخذاء للنفوذ الاوروبى حتى استفحل خطر الامتيازات الاجنبية على يديه ، فأصبح للقناصل نفوذ لم يكن لهم ولا لدولهم من قبل ، واتخذت الامتيازات الاجنبية صفة الحقوق ، وكانت من قبل منحة من السلطنة العثمانية . وفى نطاق محدود لا تتعداه . . .

ثم مات سعيد فى ١٨ من يناير سنة ١٨٦٣ ، فطويت صفحة واحد من سلالة محمد على انحاز يوما الى صفوف الشعب ثم عاد الى مكانه الطبيعى سريعا . . . فالتأم - فى عهده - جمع الاسرة الغاشمة بعد تشتت . . . واستعادت الطبقة الارستقراطية الحاكمة كيانها المتصدع . . . وهى طبقة كانت تتحدث بالتركية ، وتعلم اللغات الاجنبية ، وترفع على الشعب ولغته ، ويعيش أفرادها بمعزل عن الحياة العامة . . . بل يؤثرون المعيشة فى الخارج عالة على الشعب وجهده . . .

والى جانب الطبقة الحاكمة المترفة العاطلة . . . وجدت الجاليات الاجنبية التى استمدت عزتها من ضعف سعيد وتهاونه واستخذائه . . . ووجدت المصالح الاجنبية التى قامت على الانتهاب الجشع . . . مستغلة جهل الحاكمين . . . الذين استسلموا للمتعة ، وبهرهم بريق المدنية الاوروبية . . . وزيفها . . . وخرت بهم قشورها المسمومة . .

### الغشاة تتبدد :

لقد كان عهد سعيد خدعة من الاقدار لهذا الشعب المناضل . . بل كان فجرا كاذبا لم يلبث أن تكاثف الظلام بعده فى عهد اسماعيل . .



كان اسماعيل أجنبيا دخيلا، انحدر من صلب أجنبى دخیل ..  
ثم نشأ فى باريس فبهرته مبادئها ومظاهر فجورها وبريق متاعها  
المبتذل .. ولم يبهره علمها أو فنها أو جهدها الدائب ونشاطها  
الموصول .. لانه لم يتعلم طوال مقامه فيها سوى لغة المتبطلين  
المترفين من أبنائها .. والمترديات المتهالكات من بناتها ..

وآلت الضيعة الى ذلك المسرف الشره المقتون .. فسعى منذ  
البداية لكى ينفصل بها عن الشرق ، ليلقى بها وبمنفسه تحت أقدام  
الاوروبيين ..

وكان سبيله الى غايته هذه ، هو الرشوة ، والبذخ ..  
والتظاهر الكاذب المقيت .. وهكذا تردى فى جريمة القروض ..  
فقد تولى حكم مصر فى أوائل سنة ١٨٦٣ فلم يلبث حتى عقد  
أول قروضه فى سنة ١٨٦٤ ، وهو قرض قيمته الاسمية  
٢٠٠ر٧٠٤ر٥ جنيه ، بفائدة ٧ ٪ لمدة ١٥ سنة .. ولكن سعر  
الفائدة الحقيقى بلغ ١٢ ٪ وقد رهن فى مقابل ذلك القرض الاول  
ضرائب مديريات الدقهلية والشرقية والبحيرة ..

وفى العام التالى ( ١٨٦٥ ) عقد ثانى قروضه بقيمة اسمية  
٣٠٠ر٣٨٧ر٣ جنيه لم يقبض منها سوى ٣ ملايين ، ورهن  
فى مقابله ٣٦٥ ألف فدان ..

وفى العام الذى تلاه ( ١٨٦٦ ) عقد قرضه الثالث بقيمة اسمية  
٣٠٠ر٣٨٧ر٣ ملايين من الجنيهات ورهن لضمانه إيرادات السكك  
الحديدية ..

وفى عام ١٨٦٧ عقد قرضا رابعا قيمته الاسمية ٣٠٠ر٨٠٠ر٣  
جنيه ..

ثم أعقبه فى سنة ١٨٦٨ بخامس قروضه وقيمتها الاسمية

٠٠٠ر٨٩٠ ١١ جنيه لم يقبض منها سوى ٣٨٤ر١٩٥ ٧ جنيهها وأطاحت ببقيتها السمسرة والمصروفات ٠٠ ورهن لضمانه إيرادات الجمارك والكبارى والملح ومصائد الاسماك ٠٠

وفى سنة ١٨٧٠ عقد سادس قروضه ، بقيمة اسمية مقدارها ٨٦٠ر١٤٣ ٧ جنيهها لم يقبض منها سوى خمسة ملايين ٠٠

وفى عام ١٨٧٣ عقد قرضه السابع بقيمة اسمية قدرها ٣٢ مليوناً قبض منها ٢٠ مليوناً نقداً و ٩ ملايين صكوكاً ٠٠ وتبددت البقية فى السمسرة والمصروفات ٠٠ ورهن لضمانه بقية الموارد التى لم تتناولها الرهون السابقة وكل ما يتحرر من تلك الرهون ٠٠

وفى عام ١٨٧٨ عقد آخر قروضه وقيمته الاسمية ٠٠٠ر٥٠٠ ٨ جنيه برهن الاملاك التى نزلت عنها الاسرة الحديدية ٠٠ وقد بلغت قيمته الحقيقية ٠٠٠ر٢٠٠ ٦ جنيه بعد المصروفات والسمسرة، أما القيمة الصافية التى قبضها فاقتصرت على ٦ ملايين ٠

وزيادة على هذه القروض بلغت الديون السائرة ٢٥ مليوناً وتراوح سعر فائدتها بين ٢٠٪ و ٢٤٪ ٠٠

وكان وزيره اسماعيل المفتش قد ابتكر شيئاً غريباً اسمه « المقابلة » مؤداه أن تحصل الضرائب العقارية عن ست سنوات مقدماً مقابل فائدة ٨ر٥٪ واعفاء دائم من نصف الضريبة المقررة ٠٠ وقد بلغ متحصل دين المقابلة هذا ٠٠٠ر٥٠٠ ١٣ جنيه كما بلغ دين الرزنامة - وهو مدخرات الاهالى التى استولت الحكومة عليها بفائدة ٩٪ - ٠٠٠ر٢٣٧ ٣ ٠

وثمة ديون أخرى ارتفعت بمجموع الديون التى تردى فيها اسماعيل الى أكثر من ١٢٦ مليوناً من الجنيهات ٠٠

وقد أنفق اسماعيل هذه الملايين على بذخه ومظاهره وملذاته

ورشاواه .. فقدر ما بذله لرجال الاستانة من الهدايا والرشا بمبلغ ١٢ مليوناً من الجنيهات ... ليحصل على لقب « خديو » بعد أن كان « والياً » .. وليظهر بمظهر الملوك وهو غارق الى أذنيه فى الاغلال .. وليعدل نظام توارث العرش فيجعله لابنائاه بدل أبناء محمد على ..

وأنفق اسماعيل هذه الملايين فى اقتناء العقار ، حتى امتلك خمس مساحة الارض المزروعة . وراح يلجأ الى السخرة فى زراعتها واصلاحها .. وحتى بلغ عدد قصوره الباذخة ثلاثين قصراً فى مصر والخارج ، شادها وجملها وأثثها من دماء المواطنين ..

وأنفق هذه الملايين فى المضاربة فى البورصة - مع خدينه وصفيه اسماعيل المفتش . وفى حفلات افتتاح القناة .. وفى ملذاته الآثمة وفجوره الفاضح وفى رحلاته المسرفة ..

ولم ينفق اسماعيل قرشاً واحداً من هذه الملايين فى سبيل الشعب أو مرافقه العامة .. فقد تساوى مجموع الموارد العامة مع مجموع المصروفات العامة .. وان تكن يدها قد امتدت دائماً الى هذه الموارد العامة وهى فى طريقها الى خزائن الدولة ..

وكانت سياسته المالية سياسة ابتزاز وارهاق .. وسرقة وامتصاص دماء ... فقد فرض ضريبة السدس ، وضريبة الرى ، وضريبة الاعانة ، وجعل نظام المقابلة قسراً واعتسافاً .. وفرض ضريبة ترعة الابراهيمية ، وضريبة المباني ، وضريبة المعاصر .. والدجاج والمواشى .. ودواب الركوب .. والعربات .. والاشخاص وضريبة الويركو .. وضريبة الصوف .. وضريبة الملح .. وأعاد الدخولية التى ألغها سلفه ..

وكانت جباية هذه الضرائب . وابتزاز هذه الاعباء الثقيلة المرهقة تمضى فى أعجب سبيل ..

كان مدير الاقليم يؤدى ما يطلبه وزير المالية فيقتطع لنفسه

ما تصل اليه يده .. ثم يقطع وزير المالية - اسماعيل المفتش -  
لنفسه ما يشاء .. ولا تمضى البقية فى سبيلها الى خزائن الحكومة  
قبل أن يأخذ الخديو لنفسه أوفى نصيب .

وكان رجال الحكومة وجباة الاموال لا يعطون ايصالات ،  
وعاش الممولون فى جو من الارهاب والبغى والعدوان ، حتى ترك  
الملاك أراضيهم فرارا من ذلك العذاب ، ولجأ الكثيرون منهم الى  
الاقتراض بالربا الفاحش لدفع المغارم الفاحشة .. فتغلغل سلطان  
المرابين الاجانب وتضاعفت ثرواتهم وتعرضت الثروة العقارية  
للبنار .. بل سارت الى بنار وضياع ..

وقد شهد الريف المصرى فى عهد اسماعيل أسود أيامه  
ولياليه ، واقترض الفلاحون أحيانا بفائدة سعرها ١٠٪ فى الشهر  
بل يزيد أى ان المرابين الدخلاء حصلوا على ١٢٠٪ فى العام فائدة  
لاموالهم الدنسة الملتخة بالدماء ..

ولم يكن اسماعيل يفرق قسط بين مالية الحكومة وماليته  
الخاصة .. بل اعتبرهما جميعا ملكا خاصا له ولآبائه من قبله  
وأبنائه من بعده .. ومع ذلك أوردهما معا موارد التلف ، وانتهى  
الاستقلال المالى - الذى كانت مصر ومواردها جديرين به - الى  
التصدع .. نتيجة للديون الاجنبية والتدخل الاجنبى والاحتكار  
الاجنبى لمرافق البلاد ..

ولقد قرب اليه لصوص أوروبا فتدفق سيلهم على مصر احتما،  
بصداقته واستغلالا لسفهه .. وركونا الى الامتيازات الاجنبية ..  
ذلك أنه تملق القناصل ليكسب تأييد دولهم له حيال تركيا وهو  
أمل كاذب لم يلبث أن تحطم على صخرة الاطماع - فاغتصب  
القناصل لانفسهم وجالياتهم مزايا غريبة ، اذ انتزعوا سلطة  
الحكم فيما يقترب رعايا بلادهم من الجرائم وان وقعت على  
الوطنيين .. وسلطة الفصل فى القضايا التى يرفعونها على الاهالى



يل سلطة الحكم على الحكومة نفسها لصالح الرعايا الاجانب ..

وعندما استنفعل خطر الامتيازات الاجنبية على يديه ، راح يعالج ذلك الداء بداء آخر هو جريمة انشاء المحاكم المختلطة التي شاركه في اقترافها وزيره الاجنبى نوبار ..

### حشد من الآثام :

لقد مضى اسماعيل فى انشاء القناة ، برغم الشروط المجحفة التى أدخلت على عمه سعيد .. وبعد أن قال قولته الكاذبة : « أريد أن تكون القناة لمصر ، لا أن تكون مصر للقناة » وبعد أن اعترض على بعض الشروط ثم استلان لتحكيم نابليون الثالث - ملك فرنسا - فى الخلاف القائم بين مصر والشركة الفرنسية .. فكان حكمه مثلاً على الاجحاف والتحيز ..

وافتتحت القناة للملاحة فى ١٧ من نوفمبر سنة ١٨٦٩ وبلغت نفقات الاحتفالات التى أقيمت بهذه المناسبة ٤٠٠.٠٠٠ ر.٤٠٠ جنيه .. وظهر اسماعيل - بين الملوك والأمراء - بمظهر العاهل العظيم .. فنفسى تركيا عليه ذلك ، وقامت جفوة انتهت بفرمان سنة ١٨٦٩ الذى قضى بالألا يعقد اسماعيل قروضا بغير موافقة السلطان ..

واشتدت ورطته المالية ، وخذلته الدول الأوروبية التى فرش طريق ملوكها بالورود .. فسعى الى مرضاة تركيا بالرشا والهدايا التى حملها فى رحلته سنة ١٨٧٢ مصطفىبا وزير مالىته اسماعيل المفتش ، ووزير خارجيته نوبار ...

عندئذ صدر فرمان سنة ١٨٧٢ ناسخا لذلك فرمان .. ثم صدر فرمان الجامع فى سنة ١٨٧٣ الذى منحه الاستقلال فى ادارة شئون مصر فيما عدا المعاهدات السياسية والتمثيل الخارجى .. والذى رفع الجزية الى ٧٥٠ ألف جنيه فى العام ..

وقد كان اسماعيل ، قبل هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية سنة ١٨٧٠ - يتراعى عند أقدام الفرنسيين ٠٠٠ ثم انقلب خاضعا للنفوذ الانجليزى ٠٠ فباعهم فى سنة ١٨٧٥ أسهم مصر فى القناة بأربعة ملايين من الجنيهات - وقد بلغ تمنها فى سنة ١٩٢٧ - ٧٢ مليونا ٠٠ وبلغت أرباحها التى عادت على الخزانة البريطانية عشرات الملايين ٠٠

وكتب الكتاب الأوروبيون ، غداة عقدت هذه الصفقة المفجعة ان هذا العمل ان لم يكن فى ذاته احتلالا لمصر فانه الخطوة الأولى لهذا الاحتلال ٠ وقد صدق أولئك الكتاب مع بالغ الأسف ٠٠

وتابع اسماعيل سيره فى ركاب الانجليز ٠٠ فطلب اليهم - فى سنة ١٨٧٥ أيضا - ايفاد بعثة مالية لدراسة الحالة المالية للحكومة ، وللمعاونة وزير المالية على اصلاح ما أصابها من اضطراب ٠٠٠ فسارعت انجلترا الى ايفاد بعثة « كيف » ٠

وعلى غير هوى من اسماعيل ، وبرغم مظاهر الحفاوة والبخش والتكريم التى أحاط بها البعثة ، فقد قدمت تقريرا أشارت فيه الى سوء الحالة المالية وفداحة شروط الديون ٠٠ وقصرت عنايتها على رعاية مصالح الدائنين ٠٠ ونددت بالاسراف وأطماع الأفاقين السياسيين والماليين ٠٠ ثم أبدت مشورتها المغرضة العدوانية وهى اخضاع المالية المصرية للرقابة الأجنبية ٠٠

وكانت فرنسا قد دست أنفها كذلك ، فأوفدت بدورها ميسو فيليه لمعاونة اسماعيل فى تنظيم ماليته ، لكيلا تنفرد انجلترا بتدخلها المريب ٠٠ فلما قدم مشروعا موافقا لهوى اسماعيل استتعت انجلترا ولوحت بنشر تقرير لجنة كيف ٠٠٠ وأذاعت أن الحديو يمانع فى هذا النشر ٠٠ فانهارت سمعة مصر المالية ونزلت السندات الى الحضيض ٠٠

ولم يلبث اسماعيل أن أعلن الافلاس فى أبريل سنة ١٨٧٦  
بإصداره مرسوم التوقف عن الدفع ..

وفى ٢ من مايو سنة ١٨٧٦ أنشئ صندوق الدين وبدأت  
الوصاية الأجنبية ..

وأنشئت خزانة خاصة لسداد الديون ، خصصت لها  
ايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط . وعوائد  
الدخولية والجمارك والسكك الحديدية والدخان والملح والمصايد  
والكبارى وعوائد الملاحة النيلية ، وايراد أطيان الدائرة السنية ..  
وهكذا وجدت حكومة أجنبية مهيمنة على الحكومة .. وعلى مالية  
الدولة ..

وفرضت الرقابة الثنائية ، فعين مراقب انجليزى للايرادات  
ومراقب فرنسى للمصروفات تختارهما حكومتاهما ... واتخذ  
مراقب الايرادات لنفسه سلطة الترشيح والتعيين والعزل بالنسبة  
لأمورى التحصيل جميعا ... كما اتخذ مراقب المصروفات سلطة  
تنفيذ قوانين الدين العام وتفتيش حسابات الخزانة .. وعدم  
الصرف بغير موافقته ..

واشترك المراقبان فى وضع الميزانية العامة ...

وأنشئت لجنة مختلطة لإدارة السكك الحديدية .. ولجنة  
أخرى لميناء الاسكندرية ..

ثم صدر مرسوم بإنشاء مجلس أعلى للمالية من خمسة  
أجانب وخمسة وطنيين ..

وفى ٢٧ من يناير سنة ١٨٧٨ شكلت لجنة التحقيق الأوروبية  
بعد عجز الحكومة وارتباكها . وبناء على طلب الرقيبين .. فقدرت  
العجز بين الموارد والمصروفات بمبلغ ٩ ملايين من الجنيهات وطالبت

الخديو - كمستول عن هذا العجز - بالنزول عن أطيانه وأطيان أسرته .. فرضخ لمشيئتها ..

وفى تلك السنة شكلت وزارة مختلطة برياسة نوبار ، حل فيها وزيران أجنيان : انجليزى وفرنسى ، محل الرقابة الثنائية .. وتكون « مجلس النظار » لأول مرة فى ظل السيطرة الأجنبية ..

### الشعب ينفذ الغبار :

وتجمعت خيوط الضياء من ثنايا المحن السوداء ..

لقد كان مجلس شورى النواب . منذ أنشئ فى سنة ١٨٦٦ لا سلطان له فى أى شأن من شئون البلاد .. بل كان مظهرا كاذبا من مظاهر ذلك الطاغية المفتون .. فلما اشتدت الخطوب ، وتردى اسماعيل فى مهاوى السفه والضعف والاستكانة ، بدأ صوت المعارضة فى مجلس الشورى يرتفع لأول مرة ، فى الدور غير العادى الذى عقد بطنطا فى سنة ١٨٧٦ وكان هذا الصوت منبعثا من قلب الشيخ عثمان الهرميل ..

ثم شهد المجلس بعد ذلك أسلوبا جديدا فى مناقشة مقالة العرش ..

واستطاع أن يعرض لمسألة الديون فى دور ١٨٧٦ - ١٨٧٧ ، وأخيرا تناول المسائل المالية والمسألة الدستورية .. بلسان محمود العطار وعبد السلام المويلحى ..

وكانت الحياة الثقافية التى أراد لها محمد على أن تحبو فى ظلال العبودية ، وأن ترسف فى أغلال الحكم المطلق ، قد تحطمت عنها الاغلال منذ وفد السيد جمال الدين الأفسانى على مصر فى سنة ١٨٧١ .. وأنبعثت فى أرجائها دعوته الاستقلالية الحرة ، دعوة الجهر بالرأى ، ومغالبة الظلم وتعشق الحرية ..



وانبعثت المنظمات الشعبية الوطنية .. فتألفت الجمعية  
الحرية الاسلامية الأولى بالاسكندرية ، بمسعى السيد عبد الله نديم  
- داعية الوثبة العرابية فيما بعد - لمقاومة النفوذ الأوروبى .. وكان  
تأليفها فى سنة ١٨٧٨ وكانت وجهتها التعليم والبر ...

وولدت الصحافة السياسية الوطنية .. فكان أقدم الصحف  
السياسية فى مصر صحيفة « وادى النيل » فى سنة ١٨٦٧ لمنشئها  
عبد الله أبو السعود ... وقد ألغتها الحكومة فى سنة ١٨٦٧ ..

كذلك صدرت « نزهة الأفكار » فعطلها اسماعيل بعد عدد من  
من صدورها .. وكان مصدراها ابراهيم المويلحى ومحمد عثمان  
جلال ..

وأصدر ميخائيل عبد السيد صحيفة « الوطن » .

وفى سنة ١٨٧٧ صدرت صحيفة مصر ، ثم أعقبتها فى سنة  
١٨٧٨ صحيفة التجارة التى اتخذت فيما بعد اسم « النيل »  
أصدرهما أديب اسحق وسليم النقاش ... ونشرا فيهما تعاليم  
المصلح الفيلسوف جمال الدين الأفغانى حتى الغيتا فى  
سنة ١٨٨٠ ..

وصدرت روضة الأخبار لمحمد أنسى التى حلت محل وادى  
النيل .. والكوكب الشرقى لسليم الحموى ، والكوكب المصرى  
للشيخ محمد وفاء ، ومرآة الشرق التى تولاها ابراهيم اللقانى  
تلميذ جمال الدين ..

ولمعت فى المحيط الثقافى والأدبى - عدا من تقدم - أسماء  
الشيخ حسن المرصفى ومحمود سامى البارودى والاستاذ الامام  
الشيخ محمد عبده .

وانطلقت غنبة الجيش أيضا .

وكانت سياسة اسماعيل حياله من أول دواعي غضبه  
وثرته ..

كان قد بدأ عهده معنيا بشئونهِ ، ليرهب به تركيا ، فأنشأ  
تسع مدارس حربية ... وشرع يزيد عدده وعدته .. تم عاد به  
الى زوايا الاهمال ، فأغلق مدارسهِ ولم يبق الا واحدة .. وآثر  
بعنايته وتمييزه ضباطه الجراكسة والأتراك ، دون المصريين ..  
فقلدهم مناصب الرياسة فيه ، على جهلهم وعجزهم ... وتغاضى عن  
مفاسدهم ومظالمهم ، بل عن تلك الهزائم التى منوا بها فى سنتى  
١٨٧٥ و ١٨٧٦ فى الحرب الحبشية . انصياغا لأركان الحرب  
الاوروبيين والأمريكيين ... وبدل أن يحاكمهم على تقصيرهم قرب  
اليه قائدهم المهزوم وجعله من خاصة بطانته . وعاونهم على  
اضطهاد الضباط المصريين ، والوقوف فى سبيلهم ، والتعالى عليهم  
بالباطل ..

وهكذا شكلت الوزارة الأوروبية النوبارية ، والشعب ضائق  
ذرعا باسماعيل وجرائمه ... وبطانته ... وأصدقائه الأجانب  
وسادته الانجليز والفرنسيين ..

وفى سنة ١٨٧٨ حدثت مجاعة فى الصعيد - بسبب فداحه  
الضرائب ونقص النيل - مات بسببها عشرة آلاف من المصريين ..

وعزلت الحكومة بعض الموظفين المصريين ، وأخرت رواتب  
الباقين منهم .. وشمخ الموظفون الأجانب بأنوفهم كبرا واستعلاء ..

وأحيل ٢٥٠٠ ضابط مصرى على الاستيذاء ... وتأخرت  
رواتب الجيش ٢٠ شهرا ، انصياغا للدولتين الدخيلتين اللتين كانتا  
ترهبانه وتخشيان بأسه ..

وفى ١٨ من فبراير سنة ١٨٧٩ قام الجيش بوثبته الأولى ..

اجتمع ٧٠٠ ضابط بقيادة البكباشى لطيف سليم ، الاستاذ  
بالمدرسة الحربية ، وغادروا ثكناتهم وخلفهم لفيف من طلبة المدرسة  
الحربية وألفان من الجنود ٠٠٠ ومعهم أربعة من أعضاء مجلس شورى  
النواب ٠٠٠ وتوجهوا الى وزارة المالية . لمواجهة نوبار رئيس  
النظار وريفرس ويلسون وزير المالية ٠٠٠

ولمح الثوار عربة نوبار خارجة من وزارة الخارجية ، فأحاطوا  
بها ، وأنزلوا رئيس الوزارة الأجنبى وضربوه ٠٠

وخرج اليهم وزير المالية الانجليزى يفرق بعصاه جموع  
الناشرين فضربوه ٠٠٠ وحبسوه مع رئيس الوزارة فى مبنى وزارة  
المالية الذى احتلوه واستولوا عليه ٠٠٠

وأسرع اسماعيل الى وزارة المالية ليحرب « مهايته » فأحاطوا  
به وأطلقوا الرصاص حوله فى الهواء ٠٠٠ وضرب أحد الضباط  
بسيفه تشريفاتى الحديو فأصابه بجرح ٠٠

وأذعن الحديو ٠٠ وسقطت الوزارة الأوروبية فى ١٩ من فبراير  
سنة ١٨٧٩ ٠٠٠

ولكن تألفت على أثرها وزارة برياسة الأمير محمد توفيق وفيها  
الوزيران الأوربيان أيضا ٠٠٠

وبدأ الدخلاء يكدون لمجلس شورى النواب ، ففضت الحكومة  
دورته فى ٢٧ من مارس سنة ١٨٧٩ ٠٠

ولكن النائب محمد راضى وقف يقرر أن مدة المجلس لم تنته  
بعد ، ولا بد من دعوته لنظر المسائل التى تلكأت الحكومة فى تقديم  
بيانات عنها ٠٠٠ كما وقف عبد السلام المويلحى يهدد بالثورة ٠٠٠

وطعن بدينى الشريعى فى أى اجراء يصدر بغير اشتراك

المجلس . . . وأخذ باخوم لطف الله يذكر بحقوق الشعب ويطالب  
ببقاء المجلس حتى ينظر الميزانية . .

وظل النواب لا يريمون تحولا حتى تجاب مطالبهم . .

ثم قدموا عريضة في ٢٩ من مارس سنة ١٨٧٩ باحتجاجهم  
على مسلك الحكومة . . . وامتهانها حقوق المجلس وأستنكارهم  
المشروع المالي . .

وأخذت اجتماعات الأحرار تعقد في دار السيد على البكري  
وفي منزل اسماعيل راغب باشا . . . ثم عقدت الجمعية الوطنية  
- بدار الأخير - في ٢ من أبريل سنة ١٨٧٩ وأعلنت مطالب  
الشعب في وثيقة وقع عليها ستون من النواب ، وستون من العلماء  
والهيئات الدينية ، وفي مقدمتهم شيخ الاسلام وبطريك الأقباط  
وحاخام اليهود و ٤٢ من الأعيان والتجار و ٧٢ من الموظفين و ٩٣ من  
الضباط الوطنيين . .

وكانت الوثيقة هي مشروع لائحة وطنية بنظام دستوري  
للبلاد . .

وقبل اسماعيل اللائحة الوطنية . . انحيازاً لصفوف الشعب  
بعد أن خذله حلفاؤه وأصدقائه الأجانب . .

وتسارعت الضربات في المعركة على نحو سافر عجيب :

احتج الوزراء الأوربيان في ٧ من أبريل سنة ١٨٧٩ .

وفي اليوم نفسه تألفت وزارة شريف باشا على أساس  
المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب . .

وفي اليوم التالي - ٨ أبريل - نشر تقرير لجنة التحقيق  
الأوروبية معلنا أن البلاد في حالة عسر وفلاس . .



وعرض شريف اعادة الرقابة الثنائية فزعم الأوروبيون أنهم اكتسبوا حقا أن يمثلهم وزيران .. واستقال أعضاء لجنة التحقيق الأوروبية بالاجماع احتجاجا على تأليف وزارة « وطنية » كما استقال بعض كبار الموظفين الأجانب ..

وفى ١٠ من أبريل اجتمع مجلس شورى النواب ، وأعلن استمرار انعقاده ..

وفى ١٧ من مايو قدمت اللائحة الأساسية ( دستور سنة ١٨٧٩ ) ولائحة الانتخاب ..

وفى ٢٢ من أبريل سنة ١٨٧٩ صدر مرسوم بتسوية الديون طبقا لللائحة الوطنية .. فاحتج أعضاء صندوق الدين .. ورفعوا قضية على الحكومة أمام المحاكم المختلطة ..

وأصرت انجلترا وفرنسا على اعادة الوزيرين الأجنيين .. فرفض الشعب .. وخضع اسماعيل لارادة الشعب فسعت الدوائر الأوروبية الى خلعه ..

وتهاوى اسماعيل وتصدع .. ولم يجد سنداً من الشعب الذى ناصبه من قبل العداء .. ولا من الجيش الذى وضع فى مكان القيادة فيه أولئك الأتراك والجراكسة الجهلة العاجزين ، وأبعد عن عرينه أسود الوطن الأكفاء الأشداء ، ثم ألهب ظهورهم بسياط ظلمه وغطرسته وتعالیه ..

واستجابت حكومة الاستانة للتدخل الأوروبى .. فأصدر السلطان أمره بخلع اسماعيل - برقيا - فى ٢٦ من يونية سنة ١٨٧٩ وتولية ابنه توفيق ..

وفى ٣٠ من يونية رحل اسماعيل - فى طريقه الى نابولى - على ظهر المحروسة ، التى كانت تنوء بحملها من اللآلىء والمجوهرات.

والتحف ٠٠ فضلا عن أوراق مالية قيمتها ١٣ مليوناً من الجنيهات  
كما قال ابنه توفيق ٠٠

حمل اسماعيل أموال الشعب ٠٠ وحمل كذلك أضرار الفعلة  
والاستكانة ليبدأ الشعب حلقة جديدة من حلقات كفاحه بعد ١٧ عاماً  
من حكمه « كانت وبالا على المصريين لشدة سرفه وطمعه وسوء  
تصرفه وعدم انصافه » كما يقول البطل المجاهد أحمد عرابي في  
مذكراته ٠٠

وذلك هو اسماعيل « العظيم » الذي افتروا له الأمجاد  
حين زعموا أنه « مفترى عليه » والذي أدخل مصر في سلطان أوروبا  
فقالوا انه جعلها قطعة من أوروبا ٠٠ والذي علم أهل بيته وسراة  
عصره كيف يتفرنجون ويبدخون فتسابقوا الى اللكنة الأوروبية .  
وتنافسوا في الانحلال الخلقي والديني ٠٠ ونى التنكر للوطنية  
المصرية ٠٠ وسارعوا فرادى وجماعات الى المغاني الأوروبية ونثر  
الذهب المصري في الربوع الأجنبية ٠٠

ذلك هو اسماعيل الذي عنى بالفن الأوروبي ليبدو أوروبياً  
أمام ساداته الأوروبيين . فأنشأ مسرح الكوميدي بالأزبكية سنة  
١٨٧٦ ودار الأوبرا سنة ١٨٧٩ بمناسبة حفلات القناة . ولكنه  
طرد فرقة يوسف خياط من مصر لأنها مثلت رواية « المظلوم » .

ذلك هو اسماعيل الذي رهن مصر كلها بمواردها ومستقبلها  
ليمتلك الأراضي والقصور ٠٠ ولهيبتها خليفته توفيق وبين يديه  
« الاحتلال الانجليزي ٠٠

الحلقة الثالثة

الوشية العربية





## ثمرة الانحلال

تولى توفيق بعد أبيه اسماعيل ، في ٢٧ يولية سنة ١٨٧٩ وهو العام الذى بدأ بثورة الجيش الاولى - فى شهر فبراير - بقيادة البكباشى لطيف سليم ، والذى انتصف والبلاد كلها تنتفض غضبا وثورة .. والاستعمار الاجنبى يشق طريقه على اكتاف الحاكمين وأموال المرابين ، والنفوذ الاجنبى يستشرى فيسهم شرايين الحياة العامة ، ويملاؤ الرأس الفاسدة غرورا وخطلا ..

ان توفيق ، هو أكبر أبناء اسماعيل ، وأول من تولى حكم مصر بعد تعديل نظام توارث العرش ، وكان النظام الاول يفضى بالولاية الى محمد عبد الحليم بن محمد على اللائذ بحمى الاستانة ..

من أجل هذا بدأ توفيق - منذ اللحظة الاولى - يزجى عبارات العبودية والذلة للسلطان ..

ولكنه كان يخشى ايضا مساعى أبيه فى سبيل العودة الى الحكم فخفض جناح الذل للدول الاوروبية التى خلعت أباه ..

وكان يعانى زراية الاسرة المتعالية المتفطرسة ، لانه نتاج احدى الاماء من جوارى اسماعيل .. لذلك تعالى بدوره وتفطرس وكون لنفسه اسرة متعالية متفطرسة من العبيد والاماء وابنائهم وذرائعهم ..

وسمح توفيق بأنفه على المصريين « أبناء العرب » وسمح  
معه أصفياؤه من الأرناؤود والترك والجركس من أوشاب المرتزة  
وثمار الرق والعبودية .. فكان حاكما مستبدا ، نزاعا الى  
الاولتوقراطية .. وكانت حاشيته أسوا مثال للاستبداد والبغى  
والعدوان ..

وبدا توفيق حكمه أسوا بداية ، فبعد أيام من ولايته - في  
٦ من يولييه سنة ١٨٧٩ - فض مجلس شورى النواب وعطل  
الحياة النيابية ..

واستقال شريف من رئاسة الوزارة فأبى توفيق ان يقبل  
استقالته .. فرفعت وزارته مشروع الدستور - اللائحة  
الاساسية - وتعاهد اعضاؤها على الاستقالة ورفض منصب  
الوزارة اذا لم يصدر الدستور ..

وسارع توفيق - المتفطرس المتعالي - فترامى تحت أقدام  
ممثلى انجلترا وفرنسا .. فأيداه ضد حقوق الشعب . وعندئذ  
قبل استقالة الوزارة . وتولى الحكم بنفسه ريثما يصل صنبة  
العبودية رياض باشا ..

وفي ٤ من سبتمبر شكل رياض الوزارة ، وعين الوزيرين  
الاوربيين مستشارين خولت لهما سلطات واسعة ..

وأذن لمطالب الاجانب فى تسوية الديون .. ووجه سهام  
طفيانه واضطهاده الى الصحف الوطنية وافسح سبيل التغفلل  
للفوذ الاوروبى ..


وقبل نهاية العام الذى تولى فيه تكون - فى الخفاء من  
الاضطهاد والبغى - الحزب الوطنى ، الذى كان من دعائمه احمد  
عرابى وصاحبا عبد العال حلمى وعلى فهمى - والذى اذاع اول

بياناته في ٤ من نوفمبر مطالباً بإعادة الاملاك الخديوية الى الحكومة ، معترضاً على تسوية الديون وتخصيص السكك الحديدية لضمان القرض الممتاز ، داعياً الى توحيد الديون بفائدة ٤٪ بغير ضمان سوى مالية الدولة ، والى إلغاء الرقابة الاجنبية اكتفاء برقابة وطنية يشترك فيها الدائنون ..

وانطاق توفيق وحكومته في أعقاب الوطنيين يشددون عليهم الرقابة ويهددونهم ويضطهدونهم .. سواء من أعضاء الحزب الوطنى أو من أعضاء جمعية مصر الفتاة التى تكونت بالاسكندرية لتطالب بانحرية ..

كذلك نفى توفيق من مصر .. السيد جمال الدين الافغانى ..

واستمر توفيق على نهجه المعوج فى سنة ١٨٨٠ .. فساعد الاجانب على استغلال موارد البلاد ومرافقها .. وعلى انشاء البنك العقارى وشركة السكر ، وامثالهما من الشركات الاجنبية الخالصة بأموالها وادارتها .

والغى قانون المقابلة ، الذى كان يعفى من نصف الضرائب مقابل ماتحمل الممولون من دفع الضرائب عن ست سنوات مقدما وما تحملوا فى سبيل ذلك من الشدائد ، ومن أعباء الديون الفادحة . فلما قدم السيد حسن موسى العقاد مظلمة نشرتها جريدة الريفورم قبضت عليه الحكومة وقدمته للمحاكمة ، ف قضى المجلس بحبسه سنتين ، ولكن المجلس  ثم قضى مجلس ~~البرلمان~~ بنفيه الى اقاصى السودان ..

وفى شهر يولييه سنة ١٨٨٠ ، أى بعد عام من حكمه

المنحرف ، أصدر قانون تصفية الديون ، متحيزا للدائنين الاجانب  
مجحفا بالاهلين ، بزيادة ضريبة العشر ..

وخضع للنفوذ الدخيل ، الذى كان يخشى قوة الجيش .  
فخفض عدده الى ١٢ الفا بدعوى الاقتصاد فى النفقات ، وكان  
الفرمان العثمانى الفاشم يسمح بأن يبلغ عدده ١٨ الفا .

وازداد نفوذ الموظفين الاجانب ، وازداد عددهم ، وتميزوا  
على المصريين بالمرتبات الضخمة والسلطان العريض .

### **فورة النفوس :**

وانقضى عام ١٨٨٠ وحل عام ١٨٨١ والوطنيون تضطرب  
صدورهم ضيقا بذلك الحكم القائم على الاستبداد والاضطهاد ..  
وعلى الضعف والعبودية .. على اضطهاد اصحاب البلاد .  
والخضوع للمستقلين الدخلاء ..

فقد انتفى العدل ، وانكرت المساواة ، وقيدت الحريات ،  
وأصبحت السخرة قاعدة فى تحقيق المنافع الخاصة قبل المنافع  
العامة ، واتسعت حلقات البغى والعدوان لمجرد اتهام واه ار  
وشاية مفرضة .. وكافحت الصحافة الوطنية فى ظلام الاضطهاد  
والتنكيل ، وتضاعفت اعباء الديون التى بددها اسماعيل قبلفت  
نصف ايرادات الدولة التى تجبى من عرق الشعب وكده ،  
بالبغى والظلم والارهاق .

### **الشعب يجد زعيمه :**

ولكن الشعب كان قد وجد زعيمه .. وكان ذلك الزعيم  
هو احمد عرابى ..

ومن حق القائد الوطنى الفلاح أن يشير الى نشأته اشارة  
موجزة ، فقد أفرد لذلك جانبا كبيرا فى مذكراته .



ولد في ٣١ من مارس سنة ١٨٤١ في قرية الهرية بقرب مدينة الزقازيق ، وكان أبوه شيخ البلد ، وهو من أسرة عربية .

تعلم في قريته مبادئ القراءة والكتابة ، ثم دربه « ميخائيل غطاس » صراف القرية على الكتابة والاعمال الحسابية .. حتى رحل الى القاهرة في سنة ١٨٤٩ فالتحق بالازهر وعاد الى قريته بعد أربع سنوات ..

وفي ٦ من ديسمبر سنة ١٨٥٤ الحق بالجندية تنفيذا لما قرره سعيد من تجنيد أولاد العمدة والمشايخ ، ولأنه يجيد الكتابة وانحساب فقد عين « بلوك أمين » .

وفي سنة ١٨٥٨ رقى الى رتبة الملازم وهو لم يزل بعد في السابعة عشرة ..

وفي سنة ١٨٥٩ رقى الى رتبة اليوزباشى ..

وفي العام نفسه رقى الى رتبة الصاغ ..

وفي سنة ١٨٦٠ أصبح بكباشيا .. ثم قائمقام ..

وبدا لسعيد ان ينقص عدد الجيش فألفى بعض فرقه وفصل ضباطها ، وكان منهم أحمد عرابى . ولكنه - قبيل وفاته - أعاد عرابى الى الجيش برتبته السابقة ..

وفي عهد اسماعيل عادت الحظوة للجراكسة والترك ، ففصل عرابى ظلما وتعصبا .. ثم أعيد برتبته ..

وفي سنة ١٨٧٥ بدأت دعوته بين الضباط الوطنيين الى الاتحاد .. فالتفت حوله قلوبهم ، لشخصيته الجذابة، وموهبته الخطابية ، وعارضته العربية ، وفطرته السليمة كعربى وطنى فلاح ..

وقد ظل ١٩ عاما في رتبة القائمقام ، حتى رقى في سنة

١٨٧٩ على عهد توفيق ، الى اميرالاي بعد ان تفوق عليه ممالكك  
الاسرة الفاشمة وأذناها ..

أما الشعب فقد وجدته بعد ذلك .. في مستهل سنة ١٨٨١  
بعد أن نهض بثورته الاولى ، ونجح فيها ..

### الوثبة العرابية الأولى :

كان على رأس وزارة الحربية ناظر شركسى متعصب هو  
عثمان رفقى باشا .. وكان - على جهله وتجرده من المواهب -  
قد نث سموم التفرقة العنصرية بين الضباط ، فأنكر حقوق  
الوطنيين منهم وحرّمهم إياها ، وميز عليهم كل شركسى أو تركى-  
حتى اشتدت خيلاؤهم وزرايتهم بالوطنيين وارهاقهم إياهم  
وعنتهم بهم وغلظتهم عليهم ..

وفي أوائل يناير سنة ١٨٨١ أصدر أمرا بنقل الاميرالاي  
عبد العال حلمى حشيش قائد آلاى طره معاونا بديوان الجهادية  
وتعيين خورشيد نعمان - وهو شركسى - بدلا منه .. وأمر  
آخر بفصل القائمقام احمد عبد الفغار من آلاى الفرسان وتعيين  
ضابط بدلا منه .

وفي ١٦ من يناير - قبل نشر الاوامر - عام بمضمونها احمد  
عرابى ..

وعندما عاد الى منزله فى ذلك اليوم وجد لفيفا من صفوة  
الضباط الوطنيين فى انتظاره ، فتدارسوا الامر . واختاروه  
قائدا لحركتهم ، وأقسموا على السيف والمصحف يمين اتحادهم

وكتب عرابى عريضة الى رئيس الوزراء رياض باشا ، وقعها  
معه زميلاه على فهمى وعبد العال حلمى ، طلبوا فيها عزل عثمان  
رفقى من وزارة الحربية وتعيين وزير وطنى ، وزيادة عددالجيش

لى ١٨ ألفا وفقا للفرمان السلطانى ، وتعديل القوانين العسكرية كغالة العدل والمساواة .

وفى ١٧ من يناير ذهب الثلاثة الى وزارة الداخلية فسلموا لعريضة لوكيل الوزارة كى يسلمها لرئيس الوزراء .  
ثم دعاهم رياض الى مقابلته فقابلوه .

وبعد اسبوع ذهب الثلاثة الى دار رئيس الوزراء مستفسرين من مصر عريضتهم فهددهم وتوعدهم .

وفى ٣١ من يناير اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديو وقرر ايقاف الضباط الثلاثة ومحاكمتهم امام مجلس عسكرى .  
وتحايل وزير الحربية لاعتقالهم بأن ارسل الى ثلاثتهم تذاكر دعوة للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح اول فبراير للاستعداد لزفاف شقيقة الخديو .

واحس الضباط الوطنيون بالموامرة . واعدوا عدة المقاومة، وفى الموعد المضروب توجه الضباط الثلاثة الى قصر النيل تلبية لدعوة الوزير الشركسى .. فأحاطت بهم الرماح وسيقوا الى المجلس العسكرى الذى كان منعقدا ونزعت سيوفهم وألقى بهم فى السجن بين صفين من الضباط الجراكسة الشامتين .. وخسرو باشا كبير الجراكسة يردد على أسماعهم بالتركية عبارته الساخرة « فلاحين بتوع مقاطف » .

ونهض البكباشى محمد عبيد ، فى قشلاق عابدين ، بواجبه .. فدعا الى الاحتشاد ، واعتقل الضابط التركى خورشيد بسمى ، ثم قاد الجنود الى قصر النيل رافضا دعوة الخديو ووساطة ياوره ..

واحاط محمد عبيد ورجاله بديوان الجهادية .. ثم اقتحمه ففر وزير الحربية وضباطه الجراكسة من النوافذ ولاذوا بسرارى عابدين اجتماء بالخديو ..

واقترح الضابط الامريكى « استون باشا » استعمال  
القوة . فتبدد اقتراحه على وقع الاحداث ..

فقد فك محمد عبيد اسار المعتقلين الثلاثة .. وتوجه بهم  
وبجنوده الى ميدان عابدين ..

وفي الوقت الذى كان الخديو ومستشاروه الاجانب يعقدون  
الآمال على الآلاى السودانى المعسكر فى طره ، كان الضابط  
الوطنى البكباشى خضر خضر قد امر باعتقال خورشيد نعمان  
بديل عبد العال حلمى - وخورشيد طاهر ، واحمد حمدي  
ياور الخديو .. ثم اتجه بالآلاى السودانى الى قصر النيل ..

وارسل الخديو الى البكباشى خضر يطلب اليه العودة الى  
طرة ويبلغه ان الضباط الثلاثة قد افرج عنهم .. ولكنه أبى  
ومضى برجاله الى ميدان عابدين منضما الى عرابى ورجاله ..  
وبات الضباط انوطنيون فى قشلاق عابدين ، على أهبة  
الاستعداد ..

وفى ٢ من فبراير اجتمع الخديو بالوزراء والباشوات فى  
عابدين ليتشاوروا فى الازمة - وكان القناصل قد اشاروا على  
الخديو باجابة مطالب الضباط - فاذعن لمشورتهم وأوفد وزير  
الاوقاف محمود سامى البارودى ، ورئيس الديوان ليتاقيا مطالب  
الجيش ..

وقبل الخديو مطالب عرابى وصحبه فعزل عثمان رفقى  
وقلد البارودى وزارة الحرية بناء على اختيار الجيش ..

وبدا الانجليز ينصرون الخديو على الوطنيين ..

وبدا الفرنسيون يقفون فى الطرف الآخر ..

ثم انتصر الانجليز ، فسحب القنصل الفرنسى العام من  
مصر بعد أن شكاه توفيق الى رئيس الجمهورية الفرنسية ..



ومع ذلك فقد تظاهر الخديو بالرضا عن الضباط وأخذ ينملقهم ويخطب ودهم . وشكل مجلسا لبحث القوانين العسكرية وإصلاحها .

وبينما راح البارودى يسعى جاهدا مخلصا للتقريب بين الضباط الوطنيين والخديو .. وبينما راح عرابى وصحبه يعلنون ولاءهم للغادر المخاتل ، كانت مؤتمرات الدخلاء من رجال الحاشية تتابع حلقاتها فى جنح الظلام وكان على رأس المتآمرين يوسف كمال باشا وكيل الدائرة الخديوية ، ومحمد زكى باشا ناظر الدائرة ، وبعض الضباط المتزوجين من جوارى السراى .

وكانت كل المؤامرات - وقد كشفها عرابى وأفصح عنها فى مذكراته - تكيد للضباط الوطنيين ، ولوحدة الجيش، وتذهب أحيانا الى تدبير الاغتيالات .

وماطل الخديو فى التصديق على التعديلات العسكرية . ودعت الحكومة فرق الجيش الى حفر الرياح التوقيفى ، فرفض الضباط لانها دعوة خفية الى نزع السلاح . والتفت حبال « الفيلة » حول اعناق عرابى واخوانه .. فأقيمت حراسة وطنية ساهرة .

وحدثت حادثة ٢٥ من يولييه سنة ١٨٨١ بالاسكندرية . حيث كان الخديو بمصيفه برأس التين . فصدمت عربة يقودها سائق أوروبى احد جنود الجيش بجوار السراى صدمة قاتلة أودت بحياته .

فلما حمل رفاق الجندى زميلهم المصاب الى سراى رأس التين ماتمسين من الخديو الاهتمام بتمقب الجانى ومعاقبته أخذته العزة بالاثم . فطرد الجنود المفجوعين فى زميلهم . وأصدر امرا عسكريا بمحاكمتهم .

وصدرت على الجنود أحكام وحشية غاشمة ففضى على  
اولهم بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى ثمانية آخرين بالاشغال  
الشاقة لمدة ثلاث سنوات على ان يقضوا العقوبة جميعا فى ليمان  
الخرطوم جزاء ما عكروا من المزاج العالى .

وسارع الخديو فصدق على الحكم ونفذه .

عندئذ رفع عبد العال حلمى تقريراً الى البارودى - وزير  
الحربية - شاكياً من قسوة الحكم ، فرفع الوزير ذلك التقرير  
الى الخديو .

وتعكر المزاج السامى مرة أخرى .. وفى هذه المرة رأى  
الخديو ان يطرد الوزير ذاته .

واستدعى الوزراء برقياً الى الاسكندرية .. وطالب بعزل  
وزير الحربية .. فاستقال البارودى ليعين الخديو صهره داود  
يكن وزيراً للحربية ..

واسترسل توفيق فى غلوائه . فعزل محافظ القاهرة  
احمد الدرمائى لانه من انصار عرابى ، وولى بدله عبد القادر  
حلمى ..

وانطلق صهر الخديو ، داود يكن ، فى سبيل التنكيل  
بالوطنين ، سافراً بغير قناع ..

فأمر بمنع اجتماعات الضباط .. وبقائهم فى آلياتهم ليلاً  
ونهاراً .. وهدد باعتقالهم اذا اجتمع اثنان منهم ..

ورفض الضباط هذه الاوامر التعسفية المخالفة للقوانين  
العسكرية والمهينة لرجال الجيش ..

وفى الوقت الذى عاد فيه توفيق الى موقف العداوة من

الشعب .. كان السير مالت - قنصل انجلترا في مصر - لا يفتأ  
يتردد عليه ليلا ونهارا ..

أما عرابي ، زعيم الضباط الوطنيين ، فقد أصبح ملتقى  
آمال الشعب كله .. وزعيم الوطن كله ..

ولقد نهض بأعباء الزعامة الوطنية قبل ان يقوم بوثبته  
الثانية .. فرفع - مع صحبه - عريضة الى السلطان ضد  
الخديو ، وبعث منشورا الى العلماء والاعيان والعمد والمشايخ .  
وهرعت اليه الوفود من كل صوب حاملة عرائض النيابة عنها في  
مطالب الحرية والكرامة والعدل والمساواة .

### الوثبة العرابية الثانية :

وقام عرابي بوثبته الثانية . في صبيحة ٩ من سبتمبر  
سنة ١٨٨١ حيث قاد جنوده الى ميدان عابدين ، بعد ان اخطر  
ناظر الجهادية وقناصل الدول الاجنبية . ومن خلفه وحواليه  
حشود الاهالي وجحافلهم ..

وبذلت محاولات فاشلة لخرق الاجماع الوطنى الرائع .  
ثم رضخ المتجبر الذليل فنزل الى ميدان عابدين وبجانبه قنصل  
انجلترا في الاسكندرية وطلب مقابلة القائد الوطنى احمد عرابي  
فتقدم اليه على صهوة جواده . وبيده سيفه ووراءه ثلاثون فارسا  
من الضباط المصريين .. وجرت المحاوراة التالية . كما رواها  
البطل الوطنى في مذكراته ..

توفيق - انزل واغمد سيفك .

فترجل عرابي واغمد سيفه ..

توفيق - اغمدوا سيوفكم وعودوا الى ثكناتكم ..

فأبى الضباط أن يجيبوا الدعاء ، ويقروا شاهرين سيوفهم  
يحرسون قائدهم .

توفيق - لماذا جئت الى هنا ؟

عرايى - جئنا يامولاي لنعرض عليك طلبات الجيش والامة ،  
وكلها طلبات عادلة .

توفيق - وما هي هذه الطلبات ؟

عرايى - هي اسقاط الوزارة المستبدة وتشكيل مجلس  
نيابى على النسق الاوروبى ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى  
الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية .

توفيق - كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها ، وانا ورثت  
ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا

عرايى - لقد خلقنا الله احرارا ، ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا ،  
ووالله الذى لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد  
اليوم ..

وأشار السند البريطانى على عبده الخاضع - وارث ملك  
النيل ومالك رقاب العبيد لاحساناته - بالعودة الى داخل  
السراى .. فأطاع ..

ثم عاد القنصل البريطانى يناقش عرايى بلسان الخديوى  
.. فاستمسك الزعيم الوطنى بمطالب الامة ، ورفض ان يدخل  
فى جدال مع ذلك الدخيل .

واخيرا ، وضح توفيق لارادة عرايى وغيره من عبيد  
احساناته .. وأقسم انه مرتاح لذلك ، وانه وافق على المطالب  
الوطنية بنية صافية .

ودعى شريف من الاسكندرية اذ وقع عليه اختيار الجيش  
لرياسة الوزارة ، فوصل القاهرة فى ١٠ من سبتمبر واشترك



عرايى فى اختيار الوزراء ، وكان من بينهم محمود سامى البارودى للحربية ، تقديرا لاختلاصه للحركة القومية ، وردا لاعتباره .

وشكلت الوزارة فى ١٤ من سبتمبر ، ولكن شريفا سعى لابتعاد الجيش عن السياسة فوافق عرايى اتفاقا لدسائس الانجليز ومطامعهم .

وصدرت القوانين العسكرية المعطلة ، ونهض البارودى باصلاح المدارس الحربية .. ولكن شريفا لم يلبث ان سعى الى ابتعاد عرايى وعبد العال من القاهرة ، فوافق عرايى ليقوم الدليل على ابتعاد الجيش ، ولكنه اشترط ان يصدر الامر بانتخاب النواب فصدر الامر فعلا فى ٤ من اكتوبر ..

وقد سبق آلاى عبد العال حلمى بالسفر الى دمياط ، فى يوم متهود ، واحتفال شعبى وعسكرى بالغ الروعة ، تجلت فيه آيات التقدير القومى للجيش منقذ البلاد من الظلم والظفيان .

ثم سافر آلاى عرايى الى رأس الوادى فى ٦ من اكتوبر بعد وداع اجماعى من الشعب والحكومة ، وصحب عرايى السيد عبد الله نديم خطيب الثورة العرابية الاكبر ، ولقى الركب فى كل مكان مالم يلق زعيم من قىل ، والتهبت الشرقية كلها حماسا وعزة .

ولكن بعد عرايى وصاحبه عن القاهرة لم يكف فاواءالتدخل الاجنبى ، فقد طالبت انجلترا وفرنسا بتقصير مدة اقامة الوفد العثمانى الذى كان قد وصل الى مصر فى ٦ من اكتوبر ثم تدخلتا تدخل سافرا بمظاهرتهم العسكرية الاولى .. اذ حضرت الى الاسكندرية بارجة فرنسية واخرى انجليزية ولم تبارحها الا فى ٢٠ من اكتوبر غداة عودة الوفد العثمانى الى بلاده .

وظلت الحركة العرابية على حذرهما وثقاوتها وسلامة نهجها فأجريت الانتخابات لمجلس النواب ، حرة من كل تدخل،

مبرأة من كل زيف .. وضرب العرابيون فيها أعظم شلل على احترام الحريات ورعاية الحقوق الأساسية للجميع .

وفي ٢٦ من ديسمبر افتتح مجلس النواب ، وكان البطل المصرى محمد عبيد يقود أورطة الاحتفال .

### عام حافل :

وحل عام ١٨٨٢ .. فسارعت الحكومة فى ٢ من يناير الى تقديم مشروع الدستور الى المجلس النيابى . وانتخبت لجنة لدراسته .

وكان نفوذ عرابى قد اتسع واكتمل .. وكان حبه قد تمكن من كل قلب . فخشيت وزارة الحاكم المترفع من ذلك النفوذ وهذا الحب . وعينته وكيلا لوزارة الحرية .

ولكن بيته فى القاهرة أصبح مقصد ذوى الحاجات . وملحاً أصحاب انشكايات . وقبله المراسلين والصحفيين من كل ناحية وجنس .

وعلى حين فجأة . افرخت المؤامرة التوفيقية . فتوجه المعتمدان البريطانى والفرنسى فى ٨ من يناير الى عابدين ومثلاً مهزلة التدخل الملتوى . فقدموا مذكرة مشتركة من دولتيهم تؤيدان فيها سلطة الخديو ، وتبنيان تدخلهما المريب على الحوادث الاخيرة ومنها صدور الامر الخديوى باجتماع مجلس النواب .

وهكذا أراد توفيق لنفسه .. ان يستعدى على نفسه سلطان دولتين اجنبيتين ليؤيد سلطة نفسه .. وان يكون سند التدخل العجيب هو اجتماع مجلس النواب ..

وكانت مؤامرة بالغة السخف .. والهوان .. فتلهب الراى العام سخطاً وغضباً .. واضطر شريف الى الاحتجاج لدى المعتمدين الباغين ..

وفي ٢٦ من يناير تكلم شخصان آخران بلسان توفيق ..  
اذ قدم الرقيبان الاوروبيان مذكرة يطلبان فيها ألا يخول مجلس  
النواب حق تقرير ميزانية الدولة ..

وتراجع شريف في هذه المرة حيال التدخل الفاجر .. ولاذ  
بالسبل السياسية الخائفة فنصح بارجاء نظر المادة الخاصة  
بالميزانية من مواد الدستور ..

وابى عرابى والوطنيون في مجلس النواب أن يسلكوا  
سبيل الخور والمهانة .. وأن يقبلوا هذا العدوان الآثم على حقوق  
الامة وكرامتها .. فقرر المجلس نظر تلك المادة فوراً ..

وفي ٣ من فبراير استقالت وزارة شريف ، تخاذلاً واستخذاء

وفي ٤ من فبراير تألفت وزارة البارودى ، ودخلها الزعيم  
الوطنى أحمد عرابى وزيراً للحرية .. وانتصرت كلمة الامة ،  
وأحببت مؤامرة توفيق وسادته . وغابت وجوه الاشرار خلف  
حجب التربص والدس والخيانة ، وتحدث العالم كله عن أحمد  
عرابى ، واجتمعت الى قوة الزعامة سلطة الحكم .. ونفضت  
الثورة المباركة ايديها من وهن السياسيين المحترفين .. وحبائهم  
الممدودة .

واقر مجلس النواب مواد الدستور . وصدر به الامر  
الخديوى فى ٨ من فبراير .

وبدت كرامة الحركة الوطنية ونزاهتها وشفافوها . فاتجه  
النواب الى الخديو شاكرين .

واستكان المتجبر الذليل فأعرب للنواب عن ميله «الفريزى»  
الى صلاح ومنفعة الرعية .

ومضى المجلس النيابى فى عمله صادقاً حتى انتهى دور  
انعقاده .

عندئذ أزاح الطاغوت الدليل عن وجهه حجب التربص .  
نسج خيوط مؤامرة انضباط الجراكسة التي انكشفت وانكشف  
عنها وجهه القادر .

ففى شهر ابريل علم أحمد عرابى أن بعض الضباط  
لجراكسة يدبرون الامر لقتله وقتل رؤساء الضباط والوزراء  
الوطنيين ، فعرض الأمر على الوزراء .. ثم على الخديو .  
ولم يستطع توفيق أن يقف فى صف الجريمة منذ اللحظة  
الاولى بل أرجأ ذلك الى حين ..

وشكل مجلس للتحقيق برئاسة الفريق راشد حسنى باشا ،  
فواصل المجلس تحقيقه حتى باغ عدد المقبوض عليهم . { ضابطا  
شركسيا على رأسهم كبيرهم عثمان رفقى وزير الحربية الاسبق  
وفى ٣٠ من ابريل أصدر المجلس حكمه بنفى الضباط  
لاربعين الى اقاصى السودان ، مع تجريدهم من رتبهم العسكرية  
وامتيازاتهم ونياشينهم ، وتفريقهم فى جهات المنفى ، بعيدا عن  
الخرطوم وعواصم المديريات والسواحل .. كما حكم على راتب  
باشا ، قطب المؤامرة ، بالتجريد والحرمان من العودة الى مصر  
والنفى ان هو عاد اليها .

واجترأ توفيق - ذلك الذى قضى بالسجن المؤبد والاشغال  
الشاقة بليمان الخرطوم على جندى وطنى لانه لجأ الى رحبه  
الدينس - فامتنع عن التصديق على الحكم .

وغضبت الوزارة الوطنية .. وركب توفيق رأسه فعدل  
الحكم الى النفى من القطر المصرى الى أية جهة يشاءون مع عدم  
حرمانهم من رتبهم ونياشينهم .

ولكن جنابه العالى لم يجرؤ على التوقيع على ذلك التعديل  
الا بحضور القنصاين الانجليزى والفرنسى ، واشرافهما ورعايتهما



واشتد غضب الوزارة الوطنية .. وذهب البنا ورودى الى  
توفيق عقب فعلته فوجه اليه اللوم الشديد ، وطالبه باضافة  
عقوبة التجريد الى امر التعديل .. فأصر على ارادته السنية -  
المستمدة من رعاية الدخلاء المستعمرين ..

وفى ١٠ من مايو اجتمع مجلس الوزراء اجتماعا طويلا ..  
ورأى دعوة مجلس النواب للنظر فى موقف الخديو ، فى حين راح  
جنابه الفخيم يتشدد بأنه لا يطبق استمرار هذه الحال ، وما  
يراد من المساس بامتيازاته .. وهى حماية السفاكين المتآمرين ،  
والعدوان على ارواح القادة والزعماء ..

وكان توفيق الحائر المتداعى قويا بذلك النفوذ الدخيل ..  
نعم . فقد تقدم قناصل الدول الى مجلس الوزراء اثناء  
انعقاده الطويل يتساءلون عن الخطر الذى يهدد الرعايا الاوربيين  
- ذلك الخطر المائل فى عودة مجلس النواب الى الانعقاد ..

على أن توفيقا قد رفض توقيع الامر بدعوة المجلس ..  
فدعت الوزارة النواب لتتعرف على آراءهم ..

ولبى معظمهم دعوة الوزارة .. وتعددت اجتماعاتهم الخاصة  
وواصل مجلس الوزراء اجتماعاته ..

ودعى سلطان باشا للوساطة - وكان قد وصل بثرائه ودعوى  
وطنيته الى رئاسة مجلس النواب ، واستطاع أن يستخلص  
للخديو صمت الوزارة على موقفه من الحكم وتعديله ..

ولكن الخيانة قد بلغت من توفيق درجة استنصاره  
بالاسطولين الانجليزى والفرنسى ..

### توفيق فى الهاوية :

لقد كان موقف توفيق من مؤامرة انضباط الجراكسة  
خبيثا بأن ينتهى بعزله .. وهكذا اتجه عرابى واتجهت الوزارة

الوطنية ، ولكن الحركة القومية حين تخلصت من الساسسة  
المحترفين لم تكن قد تخلصت من الاقطاعيين وأطماعهم .. وعلى  
راسهم سلطان باشا ومن بينهم فريق من النواب - وكانوا جميعهم  
ينتخبون بواسطة عمد البلاد - وقد استطاع هذا النفر القليل  
أن يفقد قرار العزل صفة الاجماع ..

وقد كانت الدعوة الى عزل توفيق التى جهر عرابى بها منذ  
اليوم الاول من مفاخره ووحى فطرته العربية الريفية العسكرية  
الوطنية .. ولكن بعض المؤرخين ، ومنهم وطنيون مع بالغ الاسف ،  
يأخذونها عليه ..

ولو أن الحركة المباركة انطلقت على سجيتها ووحى قوميتها  
وشعبيتها ، لخاصت البلاد ومستقبلها من ذلك الخائن ، ومن  
حماته وشركائه الانجليز .

ولكن الشعب المصرى ، وتاريخه الوطنى ، كان مقدرا لهم  
أن يتلقوا ذلك الدرس الاليم .

ففى ١٢ من مايو اتفقت دولتا العدوان والبغى ، انجلترا  
وفرنسا ، على القيام بمظاهرتهم العسكرية الثانية فى ميناء  
الاسكندرية ، بعد أن تحدثتا عن الاخطار التى يستهدف لها الرعايا  
الانجليز والفرنسيون .

وفى ١٩ من مايو بدأت البوارج الباغية تصل ميناء الاسكندرية  
فاطلقت المدافع المصرية طلقاتها تحية لها باعتبارها فى زيارة ودية .  
وركن توفيق الى الصمت ، اكتفاء بالألسنة الأجنبية .

فقد سعى القنصل الفرنسى لدى الزعماء الوطنيين - بلسان  
سلطان باشا - لاستقالة البارودى وخروج عرابى من مصر كلها ..  
فرفض الوطنيون .

وعندئذ انحاز سلطان باشا علانية الى الخائن الاكبر محمد توفيق .

وفي ٢٥ من مايو وصلت تعليمات الحكومتين الفاجرتين الى قنصليهما بتقديم المطالب الباغية ، وهى استقالة البارودى وابعاد عرابى مؤقتا من مصر مع حفظ رتبه ونياشينه . وتحديد اقامة كل من عبد العال حلمى باشا وعلى فهمى باشا فى الريف مع حفظ رتبهما ونياشينهما .

وفي ذات اليوم اجتمع الوزراء وقرروا رفض الانذار . ويفترى التاريخ المفرض فيأخذ على عرابى انه لم يقبل هذه « التضحية » حماية للبلاد من التدخل المسلح . متناسيا ان ذلك العدوان المسلح كان واقعا لا محالة ، لان المستعمرين كانوا قد عقدوا عليه العزم ، وجعبتهم دائما مليئة بالاسباب المصطنعة الواهية . وفي احد جيوبهم يقبع محمد توفيق بعظمه ولحمه . . . ولكن ذلك التاريخ المفرض لم يستطع ان يمحو من جبين توفيق عار ذلك العدوان ، مهما افترى ، ومهما تخبط .

فلقد سارع توفيق الى قبول مطالب الدولتين . . او الى قبول مطالبه هو بلسان حماه وسادته . . . فاستقالت وزارة البارودى فى ٢٦ من مايو احتجاجا على الانذار والقبول معا .

وبرغم استقالة الوزارة ، بل بسببها ، ظل عرابى على اتصال دائم بالضباط ، كما ظل رئيسا للحزب الوطنى ، وظل الضباط على تمسكهم به واعتبارهم اياه وزيرا للحربية ، وظلت الامة على تمسكها بزعامته وقيادته . واضطر قناصل الدول الاجنبية ان يتجهوا اليه لتأمين رعايا بلادهم .

وفي ١٧ من مايو عقد الخديو سراى الاسماعيلية اجتماعا دعا اليه النواب والعلماء والاعيان واصحاب المناصب . . ولم يجد بينهم من يقبل رئاسة الوزارة فتولى الحكم بنفسه .

وفي مغرب ذلك اليوم عقد اجتماع آخر في دار سلطان باشا فاقترح عرابي دار الردة وخطب في المجتمعين خطبة مزلزة ، فهدد فيها الواهنيين وأذئاب الخديو ، وكشف عن جرائم وجرائم آبائه وأجداده . . ثم طالب بخلع بعد أن تردى في الدرك الأسفل حتى انتهى الى هاوية ليس لها من قرار .

كذلك اقترح مكان الاجتماع جمع من الضباط الوطنيين منهم عبد العال حلمي وعلى فهمي ومحمد عبيد ، منادين بخلع توفيق منكرين على أي مصري أن يبقى على الولاء له .

وأعلن عرابي عزمه على محاصرة سراي الاسماعيلية ليقطع السبيل بين توفيق وحلفائه المستعمرين . فسارع سلطان باشا الى تمثيل دور الحية الرقطاء . ونصح توفيق بالابقاء على عرابي وزيرا للحرية . فأصدر الخديو أمرا الى الزعيم الوطني بذلك وهو واجب لم يكن عرابي ليستطيع التخلي عنه في تلك الظروف المضطربة الهوجاء .

ثم بدأ الاستعمار الانجليزي يعد عدته للانفراد في عدوانه . مستعينا في مناوراته بحلفائه الفرنسيين - الذين ترك لهم من قبل مهمة احتلال تونس - ثم بصنيعته الدليل محمد توفيق .

ففي ٢٩ من مايو اصطنع قائد الاسطول البريطاني في الاسكندرية سببا غجيبا لطلب المدد من دولته هو قيام تحصينات مصرية في قلاع الاسكندرية .

فسارعت دولته الى زيادة قطع الاسطول في مياه الشرف المصري .

وفي ٣٠ من مايو قامت فرنسا بدورها في المهزلة فدعت الدولة الأوروبية الكبرى لعقد مؤتمر الاستتانه للنظر في المسألة المصرية لتذر الرماد في عيون السياسة الدولية ولتتيح لحليفتها الاستعمارية فرصة المباغلة .



وقد سارعت الدول الكبرى الى تلبية دعوة فرنسا ، وكان أول المستجيبين انجلترا .

وتحركات حكومة الاستانة من غفوتها ، ووجد الحكام الاتراك برغم انهماكهم فى الرشوة والاستغلال ، وقتا يقررون فيه ايفاد بعثة عثمانية لمعالجة الحالة فى مصر .. وكفاهم ذلك مئونة الاشتراك فى ذلك المؤتمر الذى اقحم نفسه فى شئونها .

وقد سبق الوفد العثمانى امر شاهانى بمنع التجهيزات والترميمات فى حصون الاسكندرية ، على نية تهديد الاسطولين الاجنبيين ، فأمر عرابى بالكف عن الترميمات الاعتيادية ..

### مذبحة الاسكندرية :

ثم تقدم الانجليز خطوة اخرى فى سبيلهم الاجرامى ، فدبروا تلك الحادثة التى أسموها مذبحة الاسكندرية ليمثلوا الدنيا بها دويا وصياحا .

وكان اداة هذه المأساة مجرم مالطى من رعاياهم هو شقيق خادم القنصل البريطانى ..

ففى ١١ من يونية استأجر ذلك المالطى حمارا واخذ يطوف به الارجاء منذ الصباح الى مابعد الظهر .. متنقلا من مقهى الى حانة .. حتى انتهى الى مكان قريب من قسم الابان ، فاذا به يدفع لصاحب الحمار - بعدهذا اليوم المجهد - قرشا واحدا .. فلما ناقشه فى الاجر استل سكيننا وراح يطعنه حتى فارق الحياة .. ولاذ بمسكن قريب يسكنه بعض مواطنيه المالطيين ..

وعندما هرع الاهالى يريدون اللحاق به اخذ المالطيون يطلقون عليهم النار ، فسقط منهم من سقط قتिला او جريحا .

وثارت نفوس الجماهير .. ووقعت معركة بين الوطنيين

والاوربيين امتد ميدانها واتسع .. وكان سلاح الاجانب البنادق والرصاص ، اما سلاح الوطنيين فكان العصي والهرافات ..

وجرح القنصل الانجليزى .. والقنصل اليونانى .. وعندما تدخل الجيش وأمسك بالزمام كان عدد القتلى قد بلغ ٤٩ منهم ٣٨ اجنبيا و ١١ وطنيا .

وفى صبيحة اليوم التالى ١٢ من يونية - بدأت حلقات العدوان التى تعاقبت استغلالا لهذا الحادث المدير ، فقد عقد توفيق اجتماعا فى عابدين مع قناصل الدول الاوروبية فأعطاهم الضمانات الوثيقة لصيانة الارواح ، وهى تتركز فى « امثال عرابى لأوامره » .

ودعى عرابى الى ذلك الاجتماع فقبل ما تقرر فيه وتعهد بتهدئة الخواطر .. ووفى بعهوده فعلا .

### مشرح الخيانة :

وفى غمار البلبلة والاضطراب - والاجانب يرتحلون سراعا الى بلادهم بالآلاف حتى بلغ النازحون منهم فى مدى شهر بعد الحادثة ستين ألفا - سافر توفيق الى الاسكندرية لكى يستظل بجناحى اربابه الانجليز .. وكان سفره فى ١٢ من يونية .

وتألفت وزارة اسماعيل راغب ، وظل عرابى وزيرا للحربية .. فامتنع الرقيب المالى الانجليزى عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء .. وغادر القناصل البريطانيون مصر ..

وفى ١٠ من يوليه انسحب الأسطول الفرنسى الى بور سعيد ليخلى الميدان للانجليز .. وكان مؤتمر الاستانة يعقد جلساته ويتابع مشاهد التمثيلية الهازلة .. ومع ذلك ففى ١١ من يولية ضرب الاسطول الانجليزى الاسكندرية ..

وهكذا خدع الانجليز ساسة العالم كله ، فألقى المؤرخون المفرضون تبعة الغفلة كلها على عاتق عرابى واخوانه .. اولئك الذين كابدوا من دسائس المستعمرين ما كابدوا .. ومن غدر المحترفين وتخاذلهم .. ومن ردة المرتدين من الاقطاعيين وأدعياء الوطنية وصنائع الطغيان ..

واحق ان عرابى وصحبه لم يخدعوا .. ولم تأخذهم الغفلة .. وانما أخذتهم الحيانة فى مختلف ألوانها المقيتة وصورها الشائنة ..

والقد اخترع القائد الانجليزى وسياته الى العدوان ببساطة انجليزية .. فأرسل فى ٦ من يوليه الى قومندان موقع الاسكندرية مطالباً بالكف عن أعمال التحصين التى توقفت منذ ٥ من يوليه .. فلما أجابه بالواقع عاد فى اليوم ذاته فكرر طلبه منذراً بتدمير القلاع .. فتكررت الاجابة ذاتها .. وفى ١٠ من يوليه أرسل بلاغا آخر يطلب تسليمه البطاريات المنصوبة فى حصون شبه جزيرة رأس التين .. منذراً بضرب تلك الحصون فى صباح ١١ من يوليه واستمر توفيق يمثل دور الحاكم المصرى ، فعقد مجلساً عاماً استقر الرأى فيه على رفض طلب الاميرال الانجليزى .. وحرر الوزراء ردهم بالرفض والاحتجاج ..

ولكن الاميرال الانجليزى كان ماضياً فى سبيله المرسوم ف ضرب الاسكندرية فى الساعة السابعة من صباح ١١ من يوليه .. واستمر تبادل النيران حتى الثانية بعد ظهر ذلك اليوم .. والوطنيون يدافعون عن قلاعهم دفاع المستميت .. ولكن قوة الأسطول كانت لها الغلبة ..

وانسحب الجيش المصرى من الاسكندرية لينهض بالمقاومة فى الداخل .. ونزل الانجليز الى الثغر فى ١٣ من يولية ..

واقام عرابى استحكاماته بالقرب من كفر الدوار .. فى حين

تربص الانجليز في الاسكندرية حتى جاءهم المدد ، مستعينين بالخدو وخرافة نفوذه الشرعى ، معلنين انهم مكلفون من قبله بالمحافظة على النظام ..

وفى ١٧ من يولية ابرق توفيق الى عرابى يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويحمله تبعة ضرب الاسكندرية .. ويتردى فى هاوية الدفاع عن الانجليز ومقاصدهم ونواياهم ..

وكان طبيعيا ان يجيب عرابى بالرفض ، وأن ينفذ عن كاهله مسبة التبعية لذلك الخائن المارق الدليل . وأن يرسل الى جميع المديرىات والمحافظات برقيات بخيانة توفيق ومروقه وممالآته للانجليز . محذرا من الاستماع اليه .

تم ذلك كله فى اليوم نفسه - ١٧ من يوليه - وفى ذلك التاريخ ايضا عقدت الجمعية الوطنية بالقاهرة وقررت المقاومة ، ودعوة الوزارة من الاسكندرية .

وفى ٢٠ من يوليه أصدر توفيق أمرا بعزل عرابى من وزارة الحربية واذاغ منشورا يدافع فيه عن سادته الانجليز وحسن نواياهم .

واجتمعت الجمعية الوطنية العمومية مرة أخرى وقررت مروق الخديو ، وعدم قبول امره بعزل عرابى ، ووقف اوامره كلها واوامر وزرائه وعدم تنفيذها ..

### اللاحم الوطنية :

ووزعت قوات الجيش المصرى على مواقع كفر الدوار وساحل البحر الابيض ودمياط ورشيد . كما اقيم معسكر فى التل الكبير .. ولكن اكبر العناية كانت متجهة الى الميدان الغربى لمواجهة الانجليز من الاسكندرية ..



وقد هزم الانجليز في كل واقعة في ذلك الميدان .  
هزموا في واقعة الرمل في ٥ من أغسطس ... وفي واقعة  
كفر الدوار الاولى في ٧ من أغسطس ... برغم الامدادات المتوالية  
التي صيرت عددهم وعدتهم أضعاف مالمدي المصريين .  
وشرع عرابي يجند الخفراء ... والمقترعين ... ونهضت  
حركة التطوع على صورة شاملة نادرة .

وتبرع الاهالي وجادوا بالمال والجهد والعتاد ، ليعوضوا  
آثار الاختلاس الذي أقدم عليه المراقب المالي الانجليزي ، واخوانه  
اعضاء صندوق الدين . اذ استولوا على أموال الخزانة ونقلوها  
الى الاسطول ..  
ووقعت معركة كفر الدوار الثانية في ١٩ من أغسطس فهزم  
الانجليز وارتدوا خاسرين ... وكذلك في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من  
أغسطس ...

اما الميدان الشرقي فكان مهد الخديعة والخيانة ..  
خرق الانجليز حياد القناة ، وقام ديلسبس الفرنسي بدوره  
كما قامت حكومة بلاده طوال هذه الملحمة الدامية .. واستمر  
يؤدي ذلك الدور الفاجر حتى وصلت البوارج الانجليزية بورسعيد  
لاحتلال القناة .

وانكشفت الخديعة ... ولكن بعد فوات الأوان .. وشرع  
عرابي في سد القناة .. ولكن بعد أن كان الانجليز قد اقتحموها!  
ثم احتلوا بورسعيد والقنطرة والاسماعيلية وموقعا على القناة  
شمالي مدينة السويس ..

وكانت شركة القناة الفرنسية احد طرفي المؤامرة .  
ولقد ائلفت على الوطنيين المصريين وعلى ارض مصر كل  
عوامل الخيانة والفدر ..

فى ٢١ من أغسطس توجه الفريق راشد باشا حسنى الى الخط الشرقى ومعه فرقة من المشاة والمدفعية والفرسان . فوضع حامية فى فايد وأخرى فى نفيشة . وجعل مركزه فى المسخوطة . ثم لحق به رئيس أركان الحرب محمود فهمى باشا ليشراف على الاستحكامات وعلى منع موارد المياه العذبة عن مراكز الانجليز . وفى ٢٤ من أغسطس دارت معركة بين المسخوطة والاسماعيلية تكبد فيها الانجليز خسائر جسيمة .

وسارع عرابى الى ميدان القتال . قادم من كفر الدوار كما سارع الى الميدان على فهمى وجنوده من القاهرة . وحضر خضر من كفر الدوار وعقد مجلس حربى برئاسة عرابى تقرر فى خطة الهجوم فى واقعة القصاصين الأولى بقيادة راشد حسنى ، على أن ينضم الى الجيش جيش آخر قادم من الصالحية بقيادة محمود سامى البارودى .

وفى ٢٨ من أغسطس وقعت المعركة ، وظل القتال من الصباح الى الليل عنيفا شديدا حتى تراجع الفريقان فى المساء .

وبينما كان الجيش المصرى منصرفا الى الجهاد المقدس مشتركا فى المعارك الوطنية الفاصلة ، كان الانجليز فى تركيا قد اشتروا ضمير الصدر الأعظم فأعد منشورا وقعه السلطان الغافل يعلن فيه عصيان أحمد عرابى ورفاقه وأعوانه ومخالفتهم للشريعة الاسلامية الفراء .

ونشط توفيق فى اذاعة المنشور الفادر ، فأوفد الى الاسماعيلية سلطان باشا وعمر لطفى باشا وفريد باشا ومعهم آلاف النسخ من ذلك المنشور ، ومن منشور الخديو الذى يحث على مساعدة الانجليز . . . . . للتأثير على الضباط المصريين ، وللتجسس على الجيش . . . . . وانطلق بعض اعضاء ذلك الوفد الخديوى الى المدائن والقرى يوزعون المنشورات ويدعون الى مساعدة الانجليز ضد ذلك العاصى لمشيئة « أم المؤمنين » . . .

ووسط هذه السهام المسمومة قامت موقعة القصاصين الثانية في ٩ من سبتمبر .. وفعلت الخيانة فعلها - بتأثير الغدر السلطاني والخيانة الخديوية - فعلم العدو بخطة الجيش الوطني ونظام هجومه .. كما فعلت المصادفة السيئة فعلها فتأخر جيش الصالحية عن موعد وصوله الى مكانه من المعركة ..

وثبت الابطال المجاهدون حتى مغرب الشمس ، فجرح راشد حسنى ، وعلى فهمى ، وخسر الجانبان خسائر فادحة .. ودعى على باشا الروبى ليتولى قيادة الجيش بدلا من قائده الجريح .. وتجمعت قوات الوطنيين فى التل الكبير ... وشرع على الروبى يستكمل استحكاماته ... وينظم تشكيلاته ، ويتعرف مواقع القتال .

وفى ١٣ من سبتمبر ، وكان عرابى يؤدى صلاة الفجر ، باغت الانجليز استحكامات التل الكبير بنيران مدافعهم وبنادقهم .. وراحوا يصبون قذائفهم على مركزها العام ..

واخذ الرعب قلوب المتطوعين من الاهالى ، ففرقوا فرارا ، وواجه الجنود النظاميون نيران العدو عزلا من السلاح وهم فى ملابس نومهم .. ولكن ثلاثة آليات صمدت فى وجه العدوان المباغت ، بقيادة كل من البطل الشهيد محمد عبيد ، الذى روى بدمائه ارض التل الكبير . واحمد فرج وعبد القادر عبد الصمد .

وكان مبعث الهزيمة اولئك الضباط الذين انحازوا الى الخديو فمضوا مع الانجليز بارشاد عربان الهنادى ، لمحاربة الوطنيين .. فلما وصلوا فى جنح الظلام الى مواقعه تقهقر امامهم فرسان المقدمة بقيادة احمد عبد الفقار وعبد الرحمن حسن .. حتى بلغوا موقع الخائن الثالث على يوسف خنفس فمروا بين عساكره دون مقاومة ... واخذوا الجيش على غرة ، وجنوده رقود ، واطلقوا نيرانهم من خلف وامام ..

وتحدث التاريخ عن خيانة أولئك الخائنين ... الذين  
اشتراهم توفيق بفرية الولاء وعصيان أمير المؤمنين ... أو بالمال  
الحرام - فقد أقطع أحمد أبو سلطان وأخوته من العربان خمسة  
آلاف فدان في رأس الوادي - ونسى التاريخ أن يتحدث عن خيانة  
توفيق ... وخيانة السلطان الغافل الذي نصب نفسه أميرا  
للمؤمنين ، وخيانة فرنسا ، وخيانة الدول الأوروبية « العظمى »  
التي اشتركت في مهزلة الاستانة ... وخيانة شركة القناة التي  
نبتت على أرض مصر كالطفيليات ..

ان شرور العالم كله قد تحالفت ضد البطل المصرى الفلاح  
أحمد عرابى وأخوانه وجنوده البواسل الوافدين من كل قرية في  
مصر والسودان .

### نهاية بطل :

وكان أحمد عرابى يعود الى القاهرة ظهر يوم الهزيمة -  
١٣ من سبتمبر سنة ١٨٨٢ - على حين كان سفير فرنسا في  
لندن يكشف النقاب عن وجه دولته اذ يهنئ وزير الخارجية  
الانجليزية بالنصر ..

أما رئيس وزراء فرنسا فكان أكثر صراحة حين قال « ان  
انتصار الانجليز على العرب في مصر ينتج ثمرة طيبة لفرنسا في  
تونس والجزائر » .

وأفاق أحمد عرابى وبقية أصحابه من المحاربين الشرفاء  
وتتابعت خطوات الجيش المحتل حتى وصل الى القاهرة .  
وأسر عرابى وصحبه الأبرار .

وهكذا تمكن الخونة والخائرون من اعتقال الزعماء الوطنيين  
ضباطا وأعيانا واللقاء بهم في السجون .



وتألفت محكمة عسكرية « مصرية » برئاسة محمد رءوفه باشا لمحاكمة الزعماء السبعة بتهمة عصيان الخديو . وهم احمد عرابى وسامى البارودى ومحمود فهمى ويعقوب سامى وعبدالعال حلمى وعلى فهمى وطلبة عصمت . وكذلك حوكم حسن الشريعى وعبد الله فكرى .

وقد استقدم مستر بلنت ، صديق عرابى ونصيره محاميين انجليزيين للدفاع عنه . . . . ولكن محاكمة البطل المجاهد جرت على نحو صورى . . فاستغرقت يوما واحدا - ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وانتهت بالنطق بالحكم - وهو الاعدام مديلا بأمر الخديو ابدال الاعدام الى النفى المؤبد .

كذلك كانت محاكمة بقية السبعة الزعماء فى ٧ و ١٠ من ديسمبر وقد حكم عليهم بالاعدام ، وتلى مع الحكم أمر خديوى بابداله الى النفى المؤبد .

وفى ١٤ من ديسمبر أمر الخديو بمصادرة املاكهم واموالهم وحرمانهم من الامتلاك وترتيب معاش بالقدر الضرورى لعيشهم . . وفى ٢١ من ديسمبر أمر بتجريدهم من الرتب والألقاب . . وفى ٢٧ من ديسمبر نفذ فيهم الحكم ، فأقلهم قطار خاص الى السويس ثم غادروها فى ٢٨ من ديسمبر على الباخرة الانجليزية مربوط الى جزيرة سيلان التى اختارتها الحكومة الانجليزية منفى لهم .

وانتهت سنة ١٨٨٢ ، الحافلة بالاحداث ، بكارثة الاحتلال البريطانى وضياع ارواح الشهداء . . ورحيل القادة الابطال . .



الحلقة الرابعة

صراع مع الشياطين





## النار تحت الرماد

احتفل توفيق - فى الاسكندرية - بنبا انتصار الانجليز على الوطنيين المصريين فى التل الكبير .. وعزفت له موسيقاه ، وحيته الجنود الانجليزية التى مكن لها من رقاب المصريين .. وتقبل تهانى المارقين ، والاوربيين . واستمع الى هتافهم بحياة ملكة انجلترا ، وقائد قوات الاحتلال ، والدولة المحتلة . ثم بحياته هو أيضا ..

ثم أوفد الى القاهرة محمد سلطان نائبا مفوضا عنه ، فراح يجمع الضباط والجنود والعلماء وخطباء المساجد والاعيان والتجار ، ويزج بهم فى أعماق السجون .. حتى بلغ عدد المسجونين ثلاثين ألفا أو يزيدون ..

وأخيرا عاد توفيق الى القاهرة بنفسه ، فى ٢٥ من سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، فسار فى موكب انجليزى الى سراى الاسماعيلية .. والى يساره نجل ملكة الانجليز ، وامامه الجنرال ولسلى والمستر مالت ، وخلفه الوزراء من صنائع الطغيان والاستبداد والعبودية .. وأعضاء الأسرة الخائنة الذليلة .

ولم يكد المستعمر يثبت أقدامه على الارض الطيبة ، حتى تخلت الدول الاوربية صراحة عن الفريسة لغاصبها .. بعد أن سيق الوطنيون الى الأسر والسجن ، ونفى الزعماء الى أقاصى الارض ، واختفى الحزب الوطنى من أفق الجهاد الوطنى الى حين .

وأوفدت الدولة المحتلة لورد دوفرين الى مصر للدراسة الحالة فيها ، وتقديم تقرير عنها لحكومة بلاده .. فأنزله توفيق فى رأس

التين ثم فى قصر النزهة بشبرا ضيفا على الحكومة « المصرية » ..

وفى سنة ١٨٨٣ بدأ السير ايفلنج بالنج - لورد كرومر فيما بعد - القنصل العام البريطانى ، يصبح حاكما بأمره فى مصر مستندا الى جيش الاحتلال ، والى أوامر حكومته البرقية بالزام الحكومة المصرية أن تتبع « المشورة » البريطانية ..

وأملى لورد دوفرين - فى كتابه الى شريف فى ٢٩ من أبريل - نظام الحكم المصرى .. فصدع بالامر دون توان .. وصدر - على هذا الاساس - القانون النظامى فى أول مايو ، بعد يومين اثنين .. بإنشاء مجالس مديريات ، ومجلس شورى نواب ، وجمعية عمومية .. وكلها هيئات نيابية صورية لا سلطان لها . ظلت قائمة كالاشباح الى سنة ١٩١٣ ..

واجتاحت الثورة المهدية أرجاء السودان ، وتوالت الهزائم على الجيش التوفيقى فاشترك الانجليز بحفنة من ضباطهم فى محاربة الزعيم السودانى الثائر حتى هدأت الثورة، فسارعوا يطالبون بعودة الجيش المصرى ليخلو لهم السودان ..

واستعاد شريف بعض ذكريات ماضيه ، فاستقال احتجاجا على طلب الانجليز ، وقال « اذا تركنا السودان فانه لا يتركنا » ..

ولكن الخديو وحكومته - وزارة رياض - أذعنوا لأوامر الانجليز .. ثم أصبحوا جميعا دمي يحركها القنصل البريطانى العام ..

فألغى الجيش المصرى .. وتألف جيش هزيل بقيادة انجليزية وضباط انجليز واستشرى النفوذ البريطانى وتغلغل .. ممثلا فى السردار على رأس الجيش، والمفتش الانجليزى العام على رأس البوليس والمستشار المالى البريطانى فى المالية ، والوكيل البريطانى لوزارة الاشغال ..

وفى ذبول النفوذ الانجليزى تغلغل النفوذ الاجنبى فى حياة البلاد .. واستولى على مرافقها ومقومات حياتها الاقتصادية ..

وهكذا ظلت الحال تتهادى من حضيض الى حضيض حتى استقالت وزارة رياض فى سنة ١٨٩١ وتولى الحكم الزائف مصطفى فهمى عميد المستسلمين الخاضعين للنفوذ الانجليزى .. فأضيف الى ممثلى النفوذ الانجليزى رئيس الحكومة نفسه . كما أضيف اليهم المستشار القضائى البريطانى الذى عين فى وزارة الحقانية ..

### نذر البركان :

وبدأت النار تنفض عنها الرماد . بعد أن كانت تسرى فى خفوت وخفاء . وتصاعدت صيحات التبرم بالاحتلال . وبما أخلف من وعود .

ففى ذلك العام - ١٨٩١ - دخل فتى مصرى مدرسة الحقوق، فالتقى بزميل له ... وعقدت بينهما أواصر صداقة ومحبة ..

أما ذلك الشاب ، فكان اسمه مصطفى كامل .. وهو ابن الضابط المهندس المرحوم على محمد .. وأما زميله وصديقه فكان اسمه فؤاد سليم .. وهو ابن المجاهد الوطنى لطيف سليم باشا الذى كان يشارك فى حركة خفية مستترة من حركات التحرير .. ويجتمع بالوطنيين الأباة من أمثال محمد فريد واخوانه ... رواد التضحية والفداء ..

وانتهت الصداقة بين الطالبين الفتيين ... الى صداقة بين مصطفى كامل ورائده لطيف سليم الذى أخذ بيده وكشف عن عبقريته الحجاب وأصبح فيما بعد من أصدق أنصاره ومؤيديه ..

وفى سنة ١٨٩٢ بدأ مصطفى كامل يكتب فى الاهرام والمؤيد،

وكان لم يزل في الثامنة عشرة ، ويحمل دعوة الجهاد التي احتبست في الصدور طوال عشر سنوات ..

وفي ذلك العام أيضا توفي توفيق ، رمز المهانة والخيانة ، ومثال الضعف والاستخذاء ... والعزة بالاثم والاستعلاء .. وتولى بعده ابنه عباس الثاني في ظل الاحتلال الناشب كالاخطبوط ... وكان في سن الثامنة عشرة .

وكان توفيق قد استناب في القفص الذهبي الذي وضعه فيه الانجليز .. وقنع بأحلامه الكاذبة من اذلال الشعب الأبي ، وبالفتات الذي يلتقطه من تحت مائدة النفوذ الانجليزى الممدود .. ولكن عباسا طمع في مزيد من ذلك النفوذ .. ونازعته الآمال في أن يشارك المعتمد البريطاني ما كان يمارس من حكم مطلق .. ونازعه الجشع - وهو من أقطابه - أن يبتز من دماء المصريين قدرا أوفى مما ابتزّه أبوه .. أو مما قدمه المستعمر لأبيه المستكين .. فبدأ يتمسح في الحركة الوطنية . ويتشبث بأذيالها ..

وفي السنة ذاتها فتحت الحركة الوطنية صدرها لعباس .. وغفر التاريخ سماحتها .. لأنها كانت تنصره على السلطة المعتدية الغاصبة ..

واجتمعت الصفوة الطاهرة والتفت حول لطيف سليم - وفي الطليعة منها محمد فريد ومصطفى كامل - واستعاد الحزب الوطنى وجوده من جديد .. ولكن في حذر وخفاء ..

. وفي سنة ١٨٩٤ حصل مصطفى كامل على شهادة الحقوق من احدى جامعات فرنسا ، وبدأ يكرس جهده وحيويته وشبابه للجهاد الوطنى ، والدفاع عن القضية الكبرى .

وفي سنة ١٨٩٥ اتسع نطاق دعوته ، فتعدى المقالات الى خطب وطنية في جولاته الاقليمية .. ومرافعات حارة في المحافل الاوروبية



## انبعاث الشعلة :

وبدأت سلطات الاحتلال ، وعوامل الخيانة ، وبقايا الجبروت المنهار ، تواجه الوعي الجديد .. وتحاول أن تحجب الشعلة عن الأبصار والقلوب .. وتتخذ الأهبة لضربات الطائشة .. فأنشئت المحكمة المخصصة لمحاكمة من يتهمون بالاعتداء على جنود الاحتلال وضباطه .. وتربص المتربصون للبطش بالأحرار ..

ولكن النور اخترق الحجب .... وفي سنة ١٨٩٦ عقدت الزعامة الشعبية علانية وعلى رؤوس الأشهاد ، لمصطفى كامل .. ومضت الحركة الوطنية في سبيلها لا تشوبها سوى شائبة اتصالها بعباس الثاني وتحالفها معه وقبولها معونته ..

على أن سنة ١٨٩٨ قد برأتها من هذه الوصمة .... عقب احتفالها بعيد جلوس الخديو ومضيها في تأييده الى آخر الشوط . ذلك أن حادثة فاشودة قد فتت في عضد الخديو فاستكان ، وباعد اليأس بينه وبين المجاهدين ..

وحادثة فاشودة تلخص في أن الفرنسيين سعوا الى مناهضة الاستعمار الانجليزى ومزاحمته ، فاحتلوا موقع فاشودة باعتباره مفتاح النيل الأعلى .... فسارع سردار الجيش المصرى « كتشنر » على رأس قوة مصرية ، فطرد الحامية الفرنسية وأجلاها .... دفاعا عن « أملاك سمو الخديو » .... وتراجعت فرنسا سريعا عن سياسة المناهضة .... ودب اليأس فى نفوس الخديو وأعوانه من المستضعفين فتخاذلوا واستكانوا ....

وهكذا تخلصت الحركة الوطنية من « تأييد » عباس ومضت في سبيلها وقد تعلمت معنى « الاعتماد على النفس » وجعلته من أسس دعوتها ..

وأكرهت حكومة الخديو على توقيع اتفاقية السودان - في سنة ١٨٩٩ - التي اشركت الانجليز في ادارته . . .

وتابعت الحركة سبيل الاعتماد على النفس، فدعت الى التعليم القومى ، وأنشأت المدارس ، وتولى زعيمها مصطفى كامل ادارة مدرسة بنفسه . . . واضطلعت بخلق النهضة التعاونية . . . وراحت تعمل جاهدة على بث الروح، الوطنية الواعية وبناء الامة القادرة على متابعة النضال .

وفى اول عام ١٩٠٠ أصبح للوطن صحيفته « اللواء » التي تولى تحريرها مع مصطفى كامل كل من محمد فريد، وأحمد شوقي، واسماعيل صبرى وويصا واصف ، وفؤاد سليم ، وغيرهم من رواد الوطنية وحملة شعلتها الوهاجة . . .

وفى عام ١٩٠١ عاد أحمد عرابى من منفاه . . . بعد أن تنكرت له السراى ، والحكومة ، وصانعه الانجليز وأكرموه فى غربته ، فحملته مرارة النكران ومصانعة الانجليز ، وتقادم السن ومكابدة الأيام - على أن يعتزل معترك الجهاد ، وهكذا خفت صوت البطل المجاهد قبل أن تمتد اليه يد الموت بسنوات عشر . . .

وفى سنة ١٩٠٢ احتفلت الحركة الوطنية - واأسفاه - بالعيد المئيبى لمحمد على ، مؤثرة أن تغفر جرائم البيت الغاشم فى حربها للاستعمار . . .

ولكن ذلك لم يمنع عباسا من هوانه وتروديه . . . وفى سنة ١٩٠٤ عندما عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا الذى أعلنت فيه بريطانيا أن ليس فى نيتها تغيير الحالة السياسية لمصر وأقصحت فرنسا عن تعهداتها بالآلا تعرقل عمل الانجليز فى هذه البلاد، لا بطلب تحديد أجل الاحتلال ولا بأية صورة أخرى ، مقابل إطلاق يدها فى مراكش . عندئذ . . . ترمى عباس تحت أقدام الانجليز . . . فحضره

لأول مرة - العرض السنوي للجيش البريطاني احتفالاً بعيد ميلاد  
ادوارد السابع ، ووقف تحت العلم البريطاني يستظل بظله في ساحة  
عابدين ، وأعلن مصطفى كامل براءته من عباس . . ومضت الشعلة  
المقدسة تجاهد الاستعمار والطغيان معا . .

واعتزل محمد فريد المحاماة وتفرغ للقضية الكبرى . . . وكان  
من قبل قد ترك وظيفته في سبيلها . .

وفي سنة ١٩٠٥ رفع كرومر عن وجهه النقاب ، وراح يزور  
المديريات ويخطب فيها عن أعمال الحكومة ، وسط مظاهر لم يحظ  
بها عباس أو وزراؤه . . . الخانعون .

وعين ياور انجليزى للخديو . .

وبدأت الدعوة الوطنية للنهوض الاقتصادي . . . وبدأ محمد  
طلعت حرب أولى خطواته في الميدان الاقتصادي ، مؤيداً من صديقه  
مصطفى كامل . .

### وحشية الطغيان :

وفي سنة ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواي ، فألهمت الروح  
الوطنية وأججته ، ومكنت لمصطفى كامل من عنق كرومر الطاغية . .

فقد ذهب بعض ضباط الاحتلال يضطادون . . . فلم يزعمهم  
وازع عن اصطيات حمام الاهالي من أجرائهم في القرية التعسة  
« دنشواي » .

وطاشت طلقة نارية فأصابت احدى القرويات وأشعلت النار  
في جرن زوجها . .

وتجمع الاهالي يحاولون منع الضباط الانجليز . . فهب الخفراء  
لانقاذ أولئك المعتدين . . . ولكن عدوانهم اتجه الى منقذهم فأصابوا

بعضهم برصاص بنادقهم .. ثم فروا من القرية فى وقدة الظهيرة .  
وأصيب أحدهم فى طريقه بضربة شمس ، فعجز عن متابعة  
السير ، وتركه زميله الجبان ومضى الى كتيبته ..

وجاء بعض جنود الكتيبة لانقاذ ضابطهم المصاب فوجدوه فى  
العراء قرب « سرسنا » وأحد الفلاحين يحنو عليه ويسقيه ويبلل وجهه  
بالماء .. فكافأوه بضربة بنادقهم حتى مات ..

وعقدت المحكمة المخصصة لمحاكمة المجنى عليهم من أهالى  
دنشواى .. لان ذلك الضابط مات بضربة الشمس ... فقضت على  
٤ بالاعدام وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى ١٥ بالسجن  
والجلد مددا تتراوح بين ١٥ سنة وسنة واحدة ..

ونفذ حكم الاعدام والجلد فى مكان الحادث ... على ملا من  
أهالى دنشواى .

وكان الزعيم الشاب مصطفى كامل يواصل دفاعه عن قضية  
بلاده فى المحافل الاوروبية ... فأطلع العالم كله على هذه الصورة  
المنكرة من وحشية الطغيان ... بل واجه الشعب الانجليزى ذاته  
بوحشية الاستعمار الانجليزى والحكم المطلق فى ظله الأسود ..

واشتد ساعد الحركة فى سنة ١٩٠٧ ... فتألف الحزب  
الوطنى جهرة ، وعقد لواء زعامته لمصطفى كامل ..

واستقال لورد كرومر من منصبه بعد أن خجل الشرف البريطانى  
نفسه من فعلته النكراء ..

وولدت لجريدة اللواء شقيقتان بالفرنسية والانجليزية ..

وأفرج عن مسجونى دنشواى ..

وولدت الدعوة لانشاء الجامعة المصرية ... وكانت نواة



مواردها تلك الاكتتابات التي افنتحها وجمعها محمد فريد ..

وأمن عباس في الهوان فراح يلتمس التعاون مع المعتمد الجديد ليقاسمه سلطته المطلقة ... ويحرق البخور للاستعمار ، ليجمع بقايا النفوذ من تحت أقدامه ..

وعين سعد زغلول وزيرا للمعارف ، وكان الى ذلك الحين ممالئا للانجليز ، أو متهما بذلك ، باعتبار ان حماه - مصطفى فهمي - من صنائعهم ، وأن أخاه فتحي زغلول من سفاحي دنشواي .

وخلت سنة ١٩٠٨ والزعيم الوطني مصطفى كامل يعاني من آثار جهاده المتصل ... في أكثر من ميدان ... فلم يقو عوده الفتى على مغالبة الجهد والنصب ... ومات في الرابعة والثلاثين .. في الحادي عشر من فبراير من ذلك العام ..

### صراع الشياطين :

وتولى محمد فريد قيادة الثورة ، فجابه الاحتلال وأعوانه بدعوة الجلاء ... وجابه الطغيان وأدواته بالمطالبة بالدستور ... وشن على الاستعمار - في عواصم الدول المستعمرة - حملة صادقة لا تفر ... ومضى يصارع الشياطين وينازلهم بسلاح ايمانه ، وشجاعته ، وفدائه ..

وفي سنة ١٩٠٩ استطاع بهذا السلاح أن يحبط مؤامرة دنيئة عقدت في طي الخفاء بين المستشار المالي الانجليزي وشركة القناة لمد أجل الامتياز أربعين عاما ..

وواصل البطل جهاده الذي بدأه مع صديقه وزميله مصطفى كامل منذ آخى بينهما لطيف سليم ، فاشترك في مؤتمر السلام في استوكهولم ، وعقد المؤتمر الوطني في بروكسل ... وعاد الى وطنه

يتابع رسالة البناء .. فضايق به الاستعمار وتناصبه الطفيان  
والعداء .

وقدم محمد فريد للمحاكمة فى سنة ١٩١١ بتهمة صحفية  
مفتراة ، وحكم عليه بالحبس ستة أشهر ، فدخل السجن ومجاهدا  
صلب العود وخرج منه أصلب عودا وأشد قناة ..

وانبرى يشهر سلاح الحق المقدس فى كل مكان ... ويدعو  
ممثلى شعوب العالم قاطبة ليبهر أنظارهم بنور ذلك الحق ، ويكشف  
لأبصارهم عن تلك المآسى التى ترزح مصر تحت أثقالها ..

وفى سنة ١٩١٢ عقد المؤتمر الوطنى ... فحمل على الانجليز ،  
وعلى الحكم المطلق ممثلا فى عباس وحكومته ... فنفاه الانجليز  
وعباس الى أوروبا ..

ولكن الزعيم المنفى ملأ الصحف الاوروبية بصيحات الحقوق  
المصرية المغصوبة ... وهز أعواد المنابر ... ودوى صوته فى  
المجتمعات والمحافل .. فى انجلترا ، وتركيا ، وفرنسا ، وسويسرا  
.. وفى كل قطر أوروبى ، يخاطب ضمائر الشعوب ، ويفضح التواء  
السلاسة ومظالم الحكام .. ونوازع الاستعمار والبغى والعدوان ..

واشترك فى مؤتمرات السلام فى جنيف سنة ١٩١٢ وفى  
لاهاى سنة ١٩١٣ ... وتابع دعوة المطالبة بالدستور حتى اجترأ  
عباس وحكومته على محاكمته مرة ثانية بتهمة هذه الدعوة .. بل  
والحكم عليه بالحبس سنة ، وعلى اثنين من زملائه بالحبس ثلاثة  
أشهر ..

ومنذ ابتعد محمد فريد عن أرض الوطن ، منفيا ، مضطهدا ،  
مظلوما .. اتخذت دعوته فى مصر صورة أعمق جذورا وأبعد غورا  
... فاستوى الشباب فى كل أرجاء البلاد يدين بها ويمزجها بدمه

... وبدأت - تحت سطوة البغى والعدوان - تكتلاته السرية التي الهبت ظهور المحتلين والحونة بالسياط بعد حين ..

وفى سنة ١٩١٤ ألغيت المجالس النيابية السابقة وأنشئت الجمعية التشريعية ... وقامت الحرب العالمية الاولى بين النمسا وألمانيا من ناحية .. وبين روسيا وفرنسا وانجلترا فى الجانب الآخر ..

وسارعت الحكومة « المصرية » بتأثير الاحتلال ، الى تخويل الدولة المحتلة حقوق الحرب فى كافة الموانئ المصرية وجميع أرجاء البلاد ... والى الوقوف من محاربيها موقف العداء ... والى إصدار قانون منع التجمهر .

وأعلن سير جون مكسويل - قائد جيوش الاحتلال - الأحكام العرفية فى مصر بموجب قرار أصدره ، وفرضت الرقابة . وسيطرت السلطة العسكرية البريطانية على أداة الحكم ..

### الحماية بعد الاحتلال :

وقامت الحرب بين انجلترا وتركيا ... فأعلنت بريطانيا الحماية على مصر ، وزوال السيادة التركية ..

كان ذلك فى ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ ..

وفى اليوم التالى قررت انجلترا خلع عباس الثانى ، وكان غائبا عن مصر ، وادعت ان الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق قد سقطت عنهما وآلت الى ملك الانجليز . وأن هذه الحقوق ، وكذلك الحقوق التى استعملتها فى سننى « الاصلاح » - أى فى سنوات الاحتلال الثلاثين - تعتبر وديعة تحت يدها لسكان مصر ... ثم عرضت على حسين كامل ، عم عباس الثانى ، أن يخلف ابن

أخيه بلقب « سلطان مصر » فى ظل الحماية ، مغرية اياه بحقه فى منح الرتب والنياشين ، وان استبقت فى يديها - أو فى يدى معتمدها - جميع الشئون الداخلية ... بل وشئون العلاقات الخارجية بين مصر وغيرها من الدول ..

وتألفت وزارة حسين رشدى من جديد ، بدون وزير للخارجية ، اذ ألغيت تلك الوزارة فى ظل الحماية ..

ولم تحرك الجمعية التشريعية ساكنا ، بل ان وكيلها سعد زغلول كان فى مقدمة المستقبليين لأول مندوب سام بريطانى والمرحبين به ..

وهوت أسعار القطن الى الحضيض ... وعجز الزراع عن الوفاء بالتزاماتهم . وعن سداد الاموال الاميرية ، واضطروا الى تقديم مصوغاتهم وفاء لتلك الاموال ... واتسع نطاق نزع ملكية الاراضى الزراعية لسداد ديون المرابين الاجانب ، فى الوقت الذى أصدرت فيه الحكومة موراتوريوم لحماية المدينين بديون تجارية ..

وحلت سنة ١٩١٥ والسخط يملك نفوس المصريين ، ومراجل الغضب تغلى فى صدورهم .. فراح السلطان الخاضع المستسلم يسكن ثائرة الثائرين بالرتب والالقاب ..

وازدادت ثورة النفوس بدل أن تنطفىء . فغضبت السلطة العرفية على الحزب الوطنى ورجاله ، وألقت بهم فى المعتقلات والسجون ... أو شردتهم منفيين فى آفاق الارض ..

### نيران الغضب :

ونهضت تكتلات الشباب بأعباء المقاومة ... على صورة فردية .. متفرقة .. مباغته ..

فى ١٨ من فبراير . وهو اليوم الذى كان السلطان قد حده



ليزور مدرسة الحقوق تغيب الطلبة عن معيهم ، وزار السلطان  
جدرانا خاوية الا من الناظر الانجليزى والمدرسين ..

وكان احساسه واحساس حكومته مرهفا .. او مظلما، ففصلت  
الحكومة ٨٤ طالبا ، وحرمت ١٣ من الامتحان .. و ١٨ آخرين  
حرمتهم مع وقف التنفيذ ..

وفى ٨ من ابريل حاول محمد خليل ، وهو تاجر شاب ، أن  
يجلو عن احساس الطغاة تلك الظلمة ، فأطلق النار على السلطان  
حسين أثناء مرور ركبته فى شارع عابدين ... ولكن الرصاصة  
أخطأته وحوكم التاجر الشاب أمام مجلس عسكرى قضى باعدامه ..  
ونفذ الحكم فى ٢٤ من ابريل ..

وفى ٩ من يولية تكررت المحاولة فى الاسكندرية ... فألقيت  
قنبلة - لم تنفجر - على موكب السلطان ... وحكم على اثنين من  
المتهمين بالاعدام ثم خفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة ..

وازداد احساس الطغاة ارهاقا وظلاما ..

وعطلت الجمعية التشريعية فى ١٨ من اكتوبر لأجل .. ولكنها  
لم تقم لها بعد قائمة ..

وانطلقت السلطة العسكرية الانجليزية تجتد العمال المصريين  
وتجمع الرديف قسرا ، وتلقى بأولئك وهؤلاء فى أتون الارهاق  
والقسوة والاهمال .. كما راحت تنتهب كل ما يقع تحت بصرها  
وبصر عملائها من مواد ومؤون ..

ولم تقنع لندن ... فعينت سير ونجت باشا مندوبا ساميا  
لكيلا يدع للسلطان وحكومته أى ظل من النفوذ ..

وصدر الاعلان بالترخيص للبنك الاهلى فى تغطية ما يصدره  
من ورق النقد المصرى بصكوك على الخزانة البريطانية بدلا من غطاء

الذهب ، وهو اعلان سنة ١٩١٦ المشئوم الذى كان بداية التبعية المالية التى أرهقت كاهل الاقتصاد المصرى فى الحربين العالميتين وفى أعقابهما ٠٠٠ والتى استلبت بريطانيا فى ظلها مئات الملايين من الجنيهات خلسة من أقواتنا ورعوس أموالنا ، وجهودنا ، وطاقتنا ٠٠

وفى سنة ١٩١٧ كان رجال الحركة الوطنية فى المعتقلات والسجون والمنفى ٠٠٠ وكان الميدان الداخلى خاليا للقوة الغاشمة انباطشة ٠٠٠ وكانت دعوة الجهاد تتردد فى المنفى البعيد على لسان زعيم المجاهدين محمد فريد ٠٠ فى المؤتمر الاشتراكى باستوكهلم وفى مذكرته الى الدول المتحاربة والمحايدة ٠٠

### سلطان جديد :

وفى شهر أكتوبر مات السلطان حسين كامل ٠٠٠ ورفض ابنه كمال الدين أن يجلس مكانة ... فبعث المندوب السامى - فى ٩ من أكتوبر - الى أحمد فؤاد بن اسماعيل بتبليغ بريطانيا يقول فيه ان وزير خارجية بريطانيا أمره بأن يعرض عليه « العرش » على أن يكون لورثته من بعده ، حسب النظام الذى سيوضع بالاتفاق بين الحكومة البريطانية وبينه ٠٠

وتلقف فؤاد « العرش » بين يديه ٠٠٠ وعهد الى حسين رشدى بتأليف الوزارة ، مثبتا فى كتاب التكليف قوله :

« وقد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها » .

وفى سنة ١٩١٨ والحقوق الوطنية تتكاثر عليها السهام الفادرة ، برثت الحركة الوطنية من آخر شوائبها ٠٠٠ وهى شائبة

التبعية العثمانية ، فقدم محمد فريد تقريره الى مؤتمر نورست ليتوفسك مطالبا بالخروج بالمسألة المصرية عن النطاق العثماني ..

ولكن السلطان الجديد - فؤاد - كان قد أوغل بها في النطاق الانجليزي ، فأصدر مرسوما يحث المصريين على التطوع في خدمة السلطة العسكرية البريطانية . وجعل من هذا التطوع حشدا اجباريا وسوقا للأهالي كالانعام ليلقوا العنت والارهاق وامتهان الكرامة حتى بلغ عدد المسوقين أكثر من مليون ..

كذلك ذلل فؤاد لصانعيه الانجليز سبيل مصادرة الحاصلات والمؤن والمواشي والدواب وكل ما يمدون اليه أبصارهم ..

وأخيرا عقد مجلس الوزراء برياسته في ٩ من مارس واستصدر قراره بالتنازل للانجليز عن ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات « اعترافا بجميل بريطانيا التي حمت البلاد من خطر الغارات » .

ولكن تلك المنحة السخية لم تكن لتقاس بالغرم الفادح ، الذي حمله الزراع في ذلك العام ، نتيجة الاحتكار البريطاني للقطن ، وهو عرم قدر بأكثر من ثلاثين مليونا من الجنيهات ..

### أحلام السلم :

وفي ٣١ من أكتوبر عام ١٩١٨ عقدت الهدنة ..

وفي نوفمبر صرحت انجلترا وفرنسا بأنهما تنويان تحرير الشعوب التي أنقذت من الحكم العثماني تحريراً نهائياً .

كذلك أعلن الرئيس الامريكي ويلسون مبادئه المشهورة .. وبدأت بريطانيا «تفي» بعهودها ، فتقدم سير وليم برونييت - مستشار دار الحماية - بمشروع القانون النظامي ، الذي تضمن انشاء مجلس نواب مصري لا حول له ولا قوة ، ومجلس شيوخ تتركز

فيه السلطة التشريعية ويشكل من غالبية من الاجانب واقلية من المصريين .

وحمل حسين رشدي على المشروع الانجليزى ..

ثم انتهت الحرب في الشهر ذاته - نوفمبر - والزعيم محمد فريد مبعده عن أرض الوطن .

وفي غيبة ذلك المجاهد الفذ تقدم وكيل الجمعية التشريعية المعطلة ، سعد زغلول ، يطلب الى المندوب السامي سير رجنلد ونجت تحديد موعد لمقابلته مع زميليه عبد العزيز فهمي وعلى شعراوي ، للتحديث في شأن الترخيص لهم بالسفر الى لندن ..

وكان حسين رشدي يناصرهم ويؤيدهم ..

وحدد يوم ١٣ من نوفمبر سنة ١٩١٨ موعدا للمقابلة .. فتحدث سعد عن رفع الأحكام العرفية والغاء الرقابة .. وطالب شعراوي أن تكون علاقة مصر مع بريطانيا « صداقة الحر للحر » وجاهر عبد العزيز فهمي بطلب الاستقلال التام ، وبالدفاع عن محمد فريد .

وتطوع سعد بالتعهد باعطاء بريطانيا الضمانات الخاصة بقناة السويس باعتبارها طريق الانجليز الى الهند ..

وفي اليوم نفسه كتب حسين رشدي الى السلطان يستأذن في السفر الى لندن وبصحبه عدلي يكن ... وقابل المندوب السامي لهذا الغرض .

وعندما لمس رشدي من المندوب السامي دهشته من أن ثلاثة رجال يتحدثون باسم أمة بأسرها ، شجع أولئك الثلاثة على تأليف الوفد وعلى جمع التوكيلات له من الأمة .. ومن المنفى البعيد في أوروبا ، جاء صوت محمد فريد مؤيدا



الوفد ، ضارباً أعلى الامثلة على انكار الذات فى سبيل الوحدة القومية  
والاهداف الوطنية العليا ..

وانتقل محمد فريد الى سويسرا ... ولحق به المشردون فى  
جهات الارض .. وواصل الوطنيون جهودهم خارج مصر .. واندفع  
الوطنيون فى مصر فى سبيلهم ، يدفعون أمامهم سعدا واخوانه ..

وفى ٢٠ من نوفمبر طلب سعد من قيادة الجيش الانجليزى  
جوازات سفر له ولاخوانه الى انجلترا .. فرفضت القيادة « فى  
الوقت الحاضر » ..

وفى ٢٩ من نوفمبر كتب سعد للمندوب السامى كى يتوسط  
لدى القيادة فى أمر الجوازات .. فجاءه الرد - من نائب السكرتير  
الخاص للمندوب - برفض الترخيص بالسفر .. وبأن يقدم الوفد  
مقترحاته الى المندوب السامى على ألا تخرج عن الخطة التى رسمتها  
بريطانيا من قبل فى نطاق الحماية ..

وفى ٣ من ديسمبر كتب سعد للمندوب مرة أخرى ...  
ولرئيس الوزراء حسين رشدى وأبرق الى رئيس الحكومة البريطانية  
... لكى يذهب هو وزملاؤه الى لندن ..

### مولد زعيم :

وحدث سنة ١٩١٩... ومحمد فريد واخوانه فى أوروبا يوالون  
جهادهم .

اما الحركة الوطنية فى مصر فقد اتسع مداها ... وأصبح  
الشعب الى دعوة الوفد .. ثم اندفع واياه فى سبيل النضال ..

واستدعى المندوب السامى .. ومنعت السلطة العسكرية  
الاجتماعات الوطنية .. وولد الزعيم « سعد زغلول » .

وسعد زغلول فلاح مصرى .. من أبناء الأزهر - ومن رواد  
الثقافة الاوروبية .. ومن عباقرة القادة الشعبين ... ولكن معدنه  
الاصيل كان قد علاه بعض الصدا - فى الرحاب الانجليزى - وعراه  
الالتواء فى اسار السياسة - فلما تفتحت عيناه على البغى الانجليزى،  
وتحرر من اسار السياسة المتخاذلة التى كان حموه مصطفى فهمى  
من عبيدها ، استطاع أن يحتل مكانه فى المعتزك الشعبى المصرى ..  
وأن يعرف فى نفسه الفلاح الوطنى ، القادر على النضال .. الذى  
اكتملت له الاداة لقيادة الجماهير ..

وكان مولد « الزعيم » فى احضان الثورة ... وفى ٧ من  
فبراير سنة ١٩١٩ فى دار جمعية الاقتصاد والتشريع ..

كان أحد المستشارين القانونيين الانجليز يلقى محاضرة فى  
تلك الدار .. فلما انتهى من محاضرتة نهض سعد زغلول للتعقيب  
عليها ..

وكان تعقيبہ خطابا وطنيا هو اول دلائل عبقريته الخطابية  
الفياضة .. وباللغة العربية ، لأول مرة فى تاريخ تلك الجمعية التى  
لم تتردد من فوق منبرها سوى اللغات الاوروبية ..

وسرى سحر سعد زغلول فى أرجاء الوادى مسرى البرق ..

وسارعت الحكومة البريطانية تقبل زيارة رشدى وعدلى ..

وأبى حسين رشدى الا السماح للوفد أيضا ..

ورفض الانجليز ، فأصر رشدى على استقالته وتمسك بها  
تضامنا مع الوفد ... فقبلها فؤاد فى أول مارس ..

ومضى فؤاد فى تخاذله ... ومضت السلطة البريطانية فى  
غلوائها .. فاعترض الوفد صراحة على مسلك السلطان ... واحتج  
لدى ممثلى الدول على السلطة المعتدية ..

## الثورة الكبرى :

وفى ٨ من مارس سنة ١٩١٩ اعتقل الانجليز سعدا وأصحابه ونفوهم الى مائطة ، فتطايير شرر الفضب فى كل مدينة وقرية ..

وبدأت الثورة الكبرى فى ٩ من مارس بمظاهرة طلبة الحقوق التى انضم اليها طلبة المعاهد العليا ٠٠٠ والتى قبض فيها على ٣٠٠ طالب أودعوا المحافظة وأمضوا فيها ليلهم ٠٠

وفى ١٠ من مارس قام طلبة الازهر والمدارس الثانوية يشاركون زملاءهم ويفكون اسار المقبوض عليهم ٠٠

والتهبت المدينة كلها ٠٠٠ واستشهد رجل وصبى مجهولان كانا أول شهداء الثورة الكبرى ٠٠٠

وبدأت الثورة فى الصعيد بمدينتى المنيا وأسيوط ٠٠

وفى ١١ من مارس اتسع مدى الاضراب ، فتوقفت المواصلات فى العاصمة وأصدرت السلطة البريطانية أمرها بمنع المظاهرات ، وبدأت اعتداءاتها المسلحة على المتظاهرين العزل ، فوقع ستة من الشهداء و ٣١ من الجرحى ٠٠ وأعلن المحامون الاهليون عن غضبتهم فأضربوا مساهمة منهم فى ثورة الامة ٠٠٠

وفى ١٢ من مارس استمر الاضراب والاحتشاد فى جميع أرجاء المدينة ٠٠ وأسقط رصاص الانجليز الرعيل الاول من شهداء الازهر وجرحاه ٠٠٠ واتسعت ثورة الاقاليم ، فهبت الاسكندرية فى وجه العدوان الانجليزى تساهم بقتلاها وجرحاها فى الحرب المقدسة بين الغاصب المسلح والعزل الثائرين ٠٠٠ وانتفضت طنطا فسقط من بينها ١٦ شهيدا و ٤٩ جريحا ٠٠ وبركة السبع ٠٠٠ فبذل شهاؤها ارواحهم ٠٠٠ وبذل جرحاها دماءهم ٠

وفى ١٤ من مارس تردى الانجليز فى الدرك الأسفل . فأطلقوا

رصاص مدافعهم الرشاشة على وفود الخارجين من المسجد الحسينى  
بعد صلاة الجمعة فقتلوا منهم ١٢ وجرحوا ٢٤ ..

وقامت مظاهرات غاضبة عزلاء فى وجه العسودان المسلح  
فاستشهد من أفرادها ١٣ منهم احدى السيدات .. وجرح ٢٧ ..  
وتساقط الضحايا فى الاسكندرية وفى قليوب وطوخ وقها ..  
كذلك هبت الزقازيق وغيرها من المدن والقرى .  
وفى ١٥ من مارس أضرب المحامون الشرعيون ، وعمال العنابر  
وبدأت ثورة الفيوم .. كما ثارت المحلة الكبرى ..

وفى ١٦ من مارس انبعثت من الازهر - بعد تعاقب الخطباء  
على منابرهم - ثورة القاهرة الكبرى .. وراح الثوار ينصبون المتاريس  
ويحفرون الخنادق لعرقلة الدوريات المسلحة ، ويقتحمون خطوط  
النار .. وقامت مظاهرة السيدات للاحتجاج لدى ممثلى الدول ..  
وقطعت المواصلات الحديدية والبرقية والتليفونية بين العاصمة  
والوجهين البحرى والقبلى ..

واستشهد فى منيا القمح ٣٠ وجرح ١٩ ..

وفى ١٧ من مارس نهضت القاهرة مند الشروق كتلة ثائرة  
تتأجج .

وثارت دمنهور ورشيد ..

وفى ١٨ من مارس واصلت القاهرة غضبتها .... وبدأت  
المذابح الوحشية فى بولاق وفى كل أرجاء المدينة .. حتى روى الدم  
الوطنى المسفوك كل أحيائها ..

وعمت الثورة أرجاء البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية ..  
فتساقط الشهداء والجرحى فى المنصورة .. وكفر الشيخ ..



وقامت المظاهرات فى دسوق وسمنود وزفتى وشبين الكوم . .  
وقتل الثوار فى ديروط ثمانية من الضباط الانجليز فى قطار  
السكة الحديدية . .  
وفى ١٩ من مارس توقفت ثورة الفيوم بعد مذبحة وحشية  
سقط فيها من الوطنيين ٤٠٠ من الشهداء والجرحى . .  
وفى ٢٠ من مارس وجه الانجليز اندارا بحرق المدن والقرى ،  
غير مكتفين بسيول الفدائف التى أمطروا بها العزل النافرين . .  
ومنعوا التجول ليلا . .  
ونشروا حملاتهم المسلحة فى كل صوب . .  
فاشتعل لهب الثورة على طول الوادى . . . وقامت المظاهرات  
الثانية للسيدات فى القاهرة . .  
وهرب الجنود البريطانيون من وجوه التجمعات المنظمة ليعتدوا  
على الآمنين فى ديارهم ومجالات رزقهم . .  
وفى ٢١ من مارس قامت الثورة فى بورسعيد . .  
وفى ٢٣ من مارس نارت ميت القرشى ، فقصدها قطار بريطانى  
مسلح ليحصد أرواح الثوار بمدافعه الرشاشة . . حتى استشهد  
فيها أكثر من ١٠٠ وجرح المئات . .  
وبدأت الثورة المسلحة فى أسسيوط التى استمرت حتى يوم  
٢٥ من مارس . .  
وفى ٢٤ من مارس أصدر العلماء والباشاوات وأعضاء الوفد  
الباقون فى مصر بيانات لتهدئة الحالة . . فى حين كان لورد كيرزون  
يهاجم الثوار المصريين - فى مجلس اللوردات - ويتجنى على الحقوق  
المصرية والكرامة الوطنية . . .

## وجه جديد :

وفى ٢٥ من مارس وصل اللورد اللنبى الذى عينته الحكومة،  
البريطانية مندوبا ساميا لقمع الثورة ومنحته كل السلطات العسكرية  
والمدنية .. فسارع يجتمع بحسين رشدى وأعضاء وزارته المستقيلة  
وبأعضاء الوفد الباقيين فى مصر ..

ولكن الثورة استمرت ..

ففى ٢٧ من مارس ثارت تفهنا الاشراف ..

وفى ٢٨ من مارس ثارت دنديط ..

وفى أول ابريل احتج الموظفون على خطاب لورد كيرزون فى  
مجلس اللوردات ثم أضربوا فى اليوم التالى ثلاثة أيام ولكن اضرابهم  
امتد حتى أفرج عن سعد وأصحابه ..

وحاول الانجليز اغلاق الازهر فرفض شيخه محمد أبو الفضل  
الجيزاوى ..

وفى ٣ من أبريل أضربت القاهرة كلها بجميع طوائفها وهيئاتها  
مشاركة للموظفين فى احتجاجهم ... فانتشرت الدوريات الانجليزية  
فى كل مكان تطلق النار وتزهق الارواح ..

وفى ٥ من أبريل انبعثت التنظيمات الوطنية من مسجد  
ابن طولون بدلا من الازهر .. وقامت المدينة الجريعة تواصل  
جهادها المستميت ..

وقام الانجليز على مجازرهم الوحشية فى العاصمة والجزيرة  
والعزيزية والبدرشين ونزلة الشوبك والشبانان مركز الزقازيق ،  
وصفط الملوك ..

وبدلا من أن يرضخ الشعب الثائر حيال الفظائع الوحشية ،

ناجحت شعلة القاء فى البلاد قاطبة .. وسارت الحشود تسعى الى الموت وتناهض القوات المعتدية بالسواعد المجردة من السلاح ..

وأذهلت المقاومة الباهرة للنبي فأوحى الى فؤاد أن يذيع منشورا يتملق فيه الشعب ويترضاه ... فرضخ السلطان وأذاع منشوره فى ٦ من أبريل ..

وفى ٧ من أبريل أعلن النبي الافراج عن سعد وصحبه والسماح لمن يشاء بالسفر الى أوروبا ..

وفى ٨ من أبريل قامت مظاهرات الابنهاج فى كافة الارحاء .. ولكن الانجليز اعتدوا على المتظاهرين ..

وأعلن النبي عن أسفه .. فرفض الوطنيون الثوار وتابعوا ثورتهم حتى بعد أن تألفت وزارة حسين رشدى فى ٩ من أبريل ..

وعادت الاعتداءات الانجليزية فى القاهرة والاسكندرية .. وفى ١٠ من أبريل واصلت العاصمة كفاحها ولم تهدأ ثائرتها منذ يوم ٨ من أبريل حتى يوم ١١ منه .. وفقدت فى هذه الايام الثلاثة أكثر من ١٠٠ شهيد وجريح ..

وفى ١٢ من أبريل - وكان الوفد قد سافر الى باريس - أضرب الموظفون اضرابا متصلا حتى يتم الاعتراف بالوفد رسميا وتعلن وزارة رشدى أن تأليفها ليس معناه الاعتراف بالحماية ، وتلغى الاحكام العرفية ، ويسحب الجنود البريطانيون المسلحون ..

وفى ١٦ من أبريل أضربت البلاد كلها اضرابا عاما تأييدا لمطالب الموظفين ..

وفى ٢١ من أبريل استقالت وزارة رشدى .. فقبلت استقالتها فى ٢٢ من أبريل .. ووجه النبي انذارا الى الموظفين ..

ثم اعترف الرئيس الامريكى ويلسن - صاحب المبادئ،  
«لزائفة - بالحماية الانجليزية على مصر ..»

وأحجم السياسيون المصريون عن الاشتراك فى الوزارة فمنح  
وكلاء الوزارات سلطة الوزراء .

واستمرت المظاهرات .. واستمرت وسائل القمع والتفريق .

وفى ٧ من مايو اعترف مؤتمر الصلح أيضا بالحماية ..

وفى ٢١ من مايو - ومعاول اليأس نفرى الصدور - اجبر  
محمد سعيد على تأليف الوزارة .. فقام الشعب فى وجهه أعنف  
قومة ..

ووسط ذلك اللهب .. وعلى دوى الرصاص الآثم يخرم  
صدور الوطنيين .. وسهام الغدر الدولى تصيب الحقوق الوطنية فى  
الصميم .. والدماء الزكية تروى أرض الوطن الجريح ، احتفل  
فؤاد فى ٢٤ من أبريل برفاقه على نازلى .

### سياسة التفريق :

وانهارت حصون العدوان حيال الثورة الجامعة المستبصلة ..  
ووهنت أسلحة الغدر والبغى حيال الاجماع والاتحاد والايمان ..  
فلجأ المحتلون وأدواتهم الى سلاح التفرقة والوقبة ..

زادوا رواتب بعض الموظفين .. وأفرجوا عن بعض المعتقلين ..  
واحتضنوا بعض النكرات ووضعوهم فوق الرؤوس ..

وظلت الثورة تهب حيناً بعد حين .. فى مكان بعد مكان ..  
وظلت السلطة العسكرية البريطانية تتذبذب بين العدوان والسكور  
.. وبين الاضطهاد والملاينة ..

وفى ١٨ من يونية وقعت معاهدة الصلح . فأوقفت المحاكم



العسكرية التي كانت سوط عذاب يتعقب الثوار فى كل مكان . .  
والغيت الرقابة . .

وبدأ السلاح الجديد - سلاح التفرة والوقية - بسفر عن  
ضحايا . .

فى شهر يوليه حدث أول انشقاق فى الوفد بفصل عضويه  
صدقى وأبى النصر . .

وفى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩١٩ سقط الزعيم الوطنى محمد  
فريد صريع جهاده أكثر من ربع قرن . .

مات فريد فى منفا ببرلين . بعد غربة ثمانية أعوام . . وبعد  
ضال أعوام طوال أفنى فيها ثروة من الضياع الموروثة ومن المنصب  
الذى ترنو اليه الابصار . . ومن كسب المحاماة - وهو من هو قدرة  
وكفاية ومكانة - ومن الايام والليالى والاشهر والسنوات التى  
ضاهها جاهدا ناصبا لا يكف عن البذل والتضحية والفداء .

وشاء الذين قطفوا ثمار غرسه أن يظل البطل المجاهد غريبا فى  
موته . . حتى تطوع مصرى وطنى - الحاج خليل عفيفى التاجر  
بالقازيق - بنقل رفاة الى مصر ، ليدفن فى القاهرة ، فى ٨ من  
يونية سنة ١٩٢٠ . .

واستمرت الثورة فى مصر قائمة . . وزعمائها المحدثون  
بقيمون فى أوروبا . .

واستمرت معاول القمع توجه الى صدور الثوار . . فعددت  
المحاكمات الجائرة فى أنحاء البلاد . . فى بنى سويف ، ودير مواس ،  
وأسيوط ، والواسطى ، وشلش ، وصنبو ، وملوى ؛ والمنيا  
رفاقوس ، ورشيد ، وكفر الشيخ ، وسمنود ، ومطاي ، وكوم امبو .  
فضلا عن القاهرة والاسكندرية . . وترددت أسماء قضية عبد الرحمن  
فهمى ، وقضية الاغتيالات . . وغيرهما . .

## لجنة ملنر :

وفى ٩ من سبتمبر تألفت لجنة ملنر برئاسة لورد ألفريد ملنر وزير المستعمرات .. فقامت مظاهرات الاحتجاج فى القاهرة والاسكندرية ... وتساقط الضحايا من جديد ...

وفى ١٤ من نوفمبر أعلنت دار الحماية عن قدوم اللجنة ومهمتها هى : اقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت الحماية .. وتلهيت البلاد بأسرها .. واستقالت وزارة محمد سعيد ..

وفى ٢١ من نوفمبر تألفت وزارة يوسف وهبة ... واجتمع الشعب القبطى فى الكنيسة المرقسية الكبرى معلنا سخطه على يوسف وهبة لقبوله الوزارة ..

وفى ٧ من ديسمبر وصلت لجنة ملنر ..

وفى ٨ من ديسمبر أضرب الطلبة ..

وفى اليوم التالى أضربت القاهرة كلها وأغلقت المحال واحتجت جميع الهيئات .. وقاطعت الامة كلها تلك اللجنة التى قدمت الى مصر لبسط الحماية ..

وفى ١٢ من ديسمبر أضرب المحامون أسبوعا ..

واحتج الموظفون .. وعلماء الازهر ..

وانتهت سنة ١٩١٩ ولم تنته الثورة ..

## عام جديد :

وحل عام ١٩٢٠ والشعب المتماسك لم يزل فى موقفه .. فى غيبة الوفد وزعيمه ..

ولكن السلطان فؤاد وحكومته كانوا يستظلون بظل الحماية البريطانية .

وعندما ولد له فاروق في ١١ من فبراير ٠٠٠ سارع يبلغ المندوب السامي ووزارة الخارجية البريطانية بمولده ٠٠٠ ويبشر المحتلين بنبت جديد من السلالة التي انبتت اسماعيل وتوفيق ٠٠

وفي ١٥ من فبراير أبلغت دار الحماية فؤادا اعترافها بنجله ، ووضعت الدولة المحتلة نظام توارث العرش لفاروق ونسله من الذكور .

وفي ١٦ من فبراير أبرق فؤاد بالشكر لملك الانجليز ٠٠

وغضب الشعب ٠٠ وأعلن الحزب الوطني ولجنة الوفد المركزية استنكارهما لعبث البريطانيين بالعرش وذلة السلطان وتهافته على قبوله ٠٠٠

وفي ١٦ من مارس عادت لجنة ملتر من حيث أتت ٠٠

وفي ١٩ من مارس اجتمع أعضاء الجمعية التشريعية المعطلة منذ سنة ١٩١٤ وأعلنوا بطلان الحماية واستقلال مصر والسودان استقلالا تاما ٠٠

واستقال يوسف وهبه .

وتألفت في ٢٢ من مايو وزارة توفيق نسيم ربيب المحسوبية الانجليزية ، والعبد الخاضع لمشينة فؤاد وهواه ٠٠

ووسط هذه الاحداث ظل الشعب على تماسكه ٠٠٠ ولكن معاول اليأس ألانت قناة سعد وصحبه في باريس ٠٠ فقبلوا دعوة ملتر وسافروا لمفاوضته في لندن ٠٠

وبدأت المفاوضات في ١٧ من يولية واستمرت حتى ١٨ من أغسطس ٠٠

ثم أجلت وسافر محمد محمود وعبد اللطيف المكباتى ولطفي السيد وعلى ماهر الى مصر ليتعرفوا رأى الامة فى مشروع الاتفاق ..

وعاد المندوبون الى باريس فى شهر أكتوبر ٠٠٠ فاجتمع الوفد واستخلص من تقاريرهم تحفظات الامة على المشروع ..

ودعى الوفد الى لندن لاستئناف المفاوضات .. بعد أن انضم اليه عدلى واستؤنفت المفاوضات فى ٢٥ من أكتوبر على أساس تحفظات الامة ..

وفى ٩ من نوفمبر أعلن لورد مسر قطع المفاوضات فجأة .

وعاد الوفد الى باريس ..

### نهاية الثورة :

وحل عام ١٩٢١ ..

وفى شهر فبراير صرح ونستون تشرشل الذى خلف لورد علن فى وزارة المستعمرات بأن مصر جزء من الامبراطورية البريطانية المرنة ..

فهب الشعب ثائرا محتجا ..

وسارع الانجليز الى التراجع .. فأبلغ النقيب السلطان فؤاد فى ٢٦ من فبراير أن الحكومة البريطانية تعبر الحماية علاقة عبر مرضية وتدعو مصر للمفاوضة ..

واضطر فؤاد أن يتخلى عن خادمه نوفيق نسيم فقبل استقاله فى ١٥ من مارس ..

وفى ١٧ من مارس نألفت على كره منه وزارة عدلى يكن ، على أساس برنامج يتضمن المفاوضات فى استقلال مصر ، ودعوة الوفد



للاشتراك فيها وعرضها على جمعية تأسيسية تنظرها وتضع دستور البلاد .

وقامت مظاهرات الاغتياب والتأييد ..

وعاد سعد بناء على دعوة عدلى .. فوصل الاسكندرية فى ٤ من ابريل والقاهرة فى ٥ من ابريل .. وسط الحفاوة الشعبية الحياشة ..

وانتهت الثورة التى نهض بها الشعب فى سنة ١٩١٩ والتى صحى فيها بالآلاف من الشهداء والجرحى .

انتهت دون أن تكسب مصر شيئاً سوى الوحدة التى انتظمت اساءها جميعا والتى صهرت فى بوتقتها أبناء الوافدين اليها من كل عنصر شرقى ..

ولكن هذه الوحدة العزيزة ذاتها قد أوهنها الصراع على العرض الزائل .. على المنصب أو الجاه ..

فقد توقفنا عن صراع الشياطين ليصارح بعضنا بعضا .. هكذا شاء الزعماء .. فى ذلك الحين !

**أنانية وغلواء :**

عاد سعد زغلول ، نلبية لدعوة عدلى ، كى يشترك فى المفاوضات مع الرجل الذى أسمى وزارته « وزارة الثقة » ، ...

ولكنه لم يلبث حتى تقدم باشتراطاته .. التى ختمها بطلب الغالبية والرياسة للوفد فى هيئة المفاوضات ..

وعز على عدلى - وهو رئيس الحكومة - أن يمتحن سعد مركزه ، وأن يطالب لنفسه بالرياسة ..

وكان سعد أقوى من عدلى ، لانه يملك سحر البيان .. ويملك  
زمام الملايين .. فبدأت طعناته تدمى غريمه وتنال منه .  
ومضى عدلى فى سبيله يترنح من الضربات ..

وحدث الانقسام الثانى فى الوفد فى ٢٨ من ابريل سنة  
١٩٢١ .

وتألف الوفد الرسمى للمفاوضات برياسة عدلى فى ١٩ من  
مايو .. واحتدم أوار المعركة الداخلية بين السعديين والعدليين ..  
وشهدت البلاد مهزلة توشك أن تكون حربا أهلية .. وفى سبيل  
رياسة هيئة المفاوضات ..

وبدأت مفاوضات عدلى كيرزون فى هذا الجو الصاخب . فكان  
المشروع الانجليزى جديرا بالرفض السريع .. لذلك قطع عدلى  
المفاوضات وغادر لندن فى ٢٠ من نوفمبر ..

وتقدم سعد خطوة أخرى فاستقدم بعثة من نواب حزب العمال  
البريطانى فى سبتمبر وراح يطوف معها الاقاليم ليطلعها على مبلغ  
تأثيره فى الجماهير ..

وفى ٨ من ديسمبر استقال عدلى ..

وانذرت السلطة البريطانية سعدا ثم اعتقلته وأصحابه فى  
٢٣ من ديسمبر ..

وهب الشعب مرة أخرى يغالب عدوان المستعمر .. وعاد  
الخارجون من الوفد الى حظيرته ..

ونودى بالمقاومة السلبية فى ٢٣ من يناير سنة ١٩٢٢ ...  
وبمقاطعة البنوك والسفن والشركات والتجارة الانجليزية ..

وفى ٢٥ من يناير اعتقل الانجليز أعضاء الوفد جميعا فتألفت  
هيئة وفدية جديدة ..

وأسقط في يد الاستعمار فأفرج عن أعضاء الوفد في ٢٧ من  
يناير ..

### تصريح ٢٨ فبراير :

وكانت الوزارة قد ظلت شاغرة أكثر من شهرين .. فقد جبن  
المستوزرون أن يخرجوا على الاجتماع ..

فألقت معاول البغى والعدوان سلاحها .. واستلانت وتقدمت  
تعرض الوزارة على عبد الحالق ثروت ..

ووجدها ثروت فرصة ، فاشتراط لقبوله الوزارة :

- ١ - عدم قبول مشروع كيرزون .
- ٢ - إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ..
- ٣ - إعادة وزارة الخارجية والتمثيل السياسى .
- ٤ - انشاء برلمان من مجلسين تكون له السلطة على أعمال  
الحكومة .

٥ - اطلاق يد الحكومة المصرية فى ادارة شئون البلاد دون  
شريك .. الخ .

وسافر للنبي ليقنع حكومته بذلك الحد الأدنى لمطالب المصريين .

وأذعنت بريطانيا، فأعلنت تصريح ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢  
بانتهاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة وإلغاء  
الاحكام العرفية .. ولكنها أثبتت فى ذلك التصريح تحفظاتها  
الاربعة ..

وتلقف فؤاد التصريح الذى استخلصه ثروت ، وسط الثورة  
المشوبة ، والدماء المسفوكة .. فقد اتاح له ذلك التصريح أن يصبح  
« ملكا متوجا » فى ١٥ من مارس سنة ١٩٢٢ ..

وسارع ثروت فألف لجنة الدستور فى ٣ من ابريل سنة ١٩٢٢ .

وطعن سعد على اللجنة وعلى الدستور الذى تضعه . .  
وفى ١٣ من ابريل أصدر فؤاد أمرا ملكيا بنظام توارث العرش  
الذى كان قد تلقاه من سادته الانجليز من قبل .

وفى ٢١ من أكتوبر قدمت لجنة الدستور تقريرها .  
واعتقلت السلطة البريطانية أعضاء الوفد وساقطتهم الى  
المحاكمة . .

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٢ تألف حزب الاحرار الدستوريين . .  
وفى ١٦ من نوفمبر قتل اثنان من أقطابه بعد اجتماع له هما  
اسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق . .

وهكذا امتد القتال بين الاخوة بعد وحدتهم الشاملة . .  
وأفلحت دسائس توفيق نسيم رئيس الديوان . فاستقال  
ثروت فى ٢٩ من نوفمبر وتولى نسيم فى ٣٠ من نوفمبر . . وشرع  
لتوه فى تمزيق مشروع الدستور ليغتصب لسيده حقوق الشعب  
مصدر السلطات . . كما قبل حذف النص الخاص بالسودان . .

وثارت مصر كلها فى وجه نسيم فتوارى عن الانظار فى ٢٥  
من فبراير سنة ١٩٢٣ .

### دستور سنة ١٩٢٣ :

وماطل فؤاد فى اصدار الدستور . .  
وفى ١٥ من مارس تألفت وزارة يحيى ابراهيم فاستمرت  
ثورة الشعب حتى صدر الدستور فى ١٩ من ابريل . .



وفى ٢ من مارس أفرج عن سعد ثم عن المعتقلين ، والمحكوم عليهم ..

ووصل سعد الى الاسكندرية فى ١٧ من سبتمبر فاستقبله الشعب أجمل استقبال ..

وأجريت الانتخابات الأولى .. وأسفرت عن غالبية وفدية تشبه الاجماع وحينئذ أثنى سعد على الدستور .. وألف الوزارة فى ٢٨ من يناير سنة ١٩٢٤ .

ولم يستطع فؤاد أن يحبس ضفينه على سيادة الشعب فأثار أزمة تعيين الشيوخ ... وانتصرت ارادة الشعب ..

وبدأ سعد فى وزارته يلقي على الاحزاب المنعاقبة دروس العصبية الحزبية .. ويعلن على رؤوس الاشهاد أنه يريد لها زغلولية لحما ودما ؟ ..

وتمت خادئات سعد - ماكدونالد من سبتمبر الى أكتوبر سنة ١٩٢٤ فأتيح لسعد أن يقف أول مواقفه الوطنية الخالدة ..

وفى ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ وقعت حادثة مقتل السردار .. وقدم انداران بريطانيان اقترنا باحتلال جمر ك الاسكندرية ..

واستقال سعد فى ٢٣ من نوفمبر ..

وفى ٢٤ من نوفمبر احتج البرلمان على الانذارين ..

### سياسة الشد والجذب :

~ ووجدها فؤاد فرصة سانحة ، فعهد بالوزارة الى أحمد زيور ليسلم على طول الخط .. وليقوم بالانقلاب الدستورى الأول فيحل مجلس النواب فى ٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ .

وفى ٢٥ من يناير سنة ١٩٢٥ ألف فؤاد حزباً للسراى أسماه  
حزب الاتحاد ليغتصب باسمه سلطات الشعب ..

وأجريت انتخابات سنة ١٩٢٥ فى ظل الارهاب والضغط  
والاكراه ..

ولكن الشعب قال فيها كلمته ..  
عندئذ حل زيور مجلس النواب يوم انعقاده فى ٢٣ مارس .

وفى ٢١ من نوفمبر اجتمع البرلمان من تلقاء نفسه برغم ارادة  
فؤاد وحكومته ..

وفى ٨ من ديسمبر وضعت حكومة زيور قانوناً جديداً  
للانتخابات رفضته الأمة على لسان لجنة الاحزاب المؤتلفة التى تألفت  
فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٢٦ .

وفى ١٩ من فبراير اجتمع المؤتمر الوطنى فى حديقة دار محمد  
محمود ... وأعلن مشيئة الشعب ..

وفى ٢٢ من فبراير أذعنت الحكومة لتلك المشيئة وأصدرت  
مرسوماً باجراء الانتخابات طبقاً للنظام المباشر ..

وتتمت انتخابات سنة ١٩٢٦ على أساس من الاتفاق بين الأحزاب  
على الترشيحات ..

وفى ٢٧ من يونية تألفت وزارة عدلى الائتلافية ..

وفى ١٩ من يولية استقال عدلى وأعقبه عبد الحالى ثروت  
بوزارته الائتلافية أيضاً ..

وفى ٢٣ من أغسطس مات سعد زغلول على ائتلافه وقوميته ..  
فاختتم حياته زعيماً وطنياً حقاً .. غلبت أصالته كل شائبة ..

بل لقد استحق ذلك الفخر منذ موقفه فى مفاوضاته سنة  
١٩٢٤ ..

وفي يولييه سنة ١٩٢٧ بدأت مفاوضات ثروت - تشمبرلين ..  
وانتهت الى مشروع رفضه مجلس الوزراء في ٤ من مارس سنة  
١٩٢٨ . فاستقال ثروت ..

### معاول الشقاق :

- وفي ١٧ من مارس تألفت وزارة النحاس الاولى ..
- وفي يونيه سنة ١٩٢٨ تصدع الائتلاف .. وأقيمت الوزارة ..
- وتولى الحكم محمد محمود فحصل مجلس النواب في ١٩ من يولييه  
وعطل الدستور ..
- وفي مايو سنة ١٩٢٩ بدأت مفاوضات محمد محمود هندرسون .
- وفي ٣ من أكتوبر تألفت وزارة عدلي الشاذلي ، وأجريت  
انتخابات سنة ١٩٢٩ .
- وفي أول يناير سنة ١٩٣٠ تألفت وزارة النحاس الثانية ..
- وبدأت مفاوضات النحاس هندرسون في ٦ من فبراير ..
- وفي ١٧ من يونيه استقالت وزارة النحاس ..
- وفي ٢٠ من يونيه ألف اسماعيل صدقي الوزارة ، فألغى  
الدستور ووضع دستور سنة ١٩٣٠ ، وألف حزب الشعب ،  
فكون منه ومن حزب الاتحاد برلمان صدقي المشهور ..
- وفي ٢٢ من أكتوبر حدث انشقاق جديد في الوفد ..
- وفي سبتمبر سنة ١٩٣٣ استقال صدقي وخلفه عبد الفتاح  
يحيى حتى قدر للنظام المصنوع كله أن ينهار .
- وجاء توفيق نسيم مرة أخرى في ٦ من نوفمبر سنة ١٩٣٤ ..
- فألغى دستور صدقي وتوانى عن إعادة دستور سنة ١٩٢٣ ..

وتصاعدت أصوات المطالبة بالدستور فتدخل الانجليز بتصريح  
سمويل هور .. وعندئذ قامت ثورة الشباب في سنة ١٩٣٥ التي  
أريقَت فيها دماء الشهداء برصاص الانجليز من كونسبلات البوليس  
المصرى .. فى يومى ١٣ و ١٤ من نوفمبر .

وحمل الشباب رجال الاحزاب على الائتلاف فتكونت الجبهة  
الوطنية التى كتبت الى فؤاد فى ١٢ من ديسمبر تطالب بدستور  
سنة ١٩٢٣ ..

وعاد الدستور .

واستقال توفيق نسيم فى ٢٢ من يناير سنة ١٩٣٦ ..

وفى ٣٠ من يناير تألفت وزارة على ماهر الاولى ... وتألف  
وفد المفاوضات على أساس مشروع النحاس - هندرسن ..

وفى ٢٨ من أبريل مات فؤاد ، مطمئنا الى ماغرسه فى وحدة  
الشعب من بذور الصراع والشقاق ..



انتصار الشعب



مات فؤاد ، فجلس على العرش الذى أجلسه عليه الاستعمار  
وكفله لذريته من بعده ، ولفاروق الصبى ، وهو لم يزل بعد فى  
السادسة عشرة ٠٠

ونحن نكتب اليوم للتاريخ، ولا نود أن نؤرخ لذلك الملك الذى  
طويت صفحته ولم تزل تتردد أنفاسه ، لأنه حديث يطول ؛ ولأنه  
تاريخ عشناه وتعاقبت تحت أعيننا أحداثه ٠٠٠ ولأن رجال الصحافة  
— فى مصر والعالم كله — وبعض الكتاب ، قد كفونا هذا الجهد حين  
كشفوا لنا عن الحفايا والاسرار ٠٠

فلم يبق لنا اذن الا أن نبليغ خاتمة الكتاب ٠٠ خاتمة النضال  
الذى نهض به هذا الشعب طوال مائة وخمسين عاما ٠٠ فى وجه  
العدوان الفرنسى والانجليزى والعثمانى ٠٠ وفى وجه طغيان محمد  
على وسلالته ٠٠٠ وفى وجه الاستعمار الانجليزى ٠ وفى وجه الفساد  
والبغي والمظالم الهوجاء ٠٠

ان عهد فاروق ، الذى استطال ستة عشر عاما ، كان جديرا  
بتلك النهاية ٠٠ أما وقائعه فتذكر فى كلمات قصار ٠

كان الصبى — عند وفاة أبيه — غريبا فى انجلترا ٠٠ وكان  
حوله وفى انتظاره الكثيرون من صنائع الاستبداد ودعائه ٠٠  
والكثيرون من عبيد السلطة والجاه والنفوذ ٠ فتنافس أولئك وهؤلاء  
فى صنع هالة من الدعاوى المفتراة أحاطوا بها الفتى الغرير وخدعوا  
بها الابصار وهزوا شغاف القلوب ٠٠

وكان الشعب قد كفر بقاتته وزعمائه ، فأمن بذلك الاله الصغير ، ومضى يرقب على يديه الامن والاستقرار . بعد أن قنع ساسته « بوثيقة الشرف والاستقلال » .

وشب فاروق عن الطوق، والساسة والاحزاب وعباد المناصب يقتتلون على الاسلاب .. وهى حكم الشعب والعبث بمصائره<sup>2</sup> .

وكان فريق منهم يرتعى تحت أقدامه ويستظل برحابه .. وفريق يلوح بالدستور فى رجاب آخر غير رحابه ..

وكفر الشعب بأخر مقدساته .. كفر بالدستور الذى امتهنه حماه .. وكفر بالمقتلين على المغانم .. وكفر بالصبي الذى اجلسه يوما على عرش من القلوب .

وكان الفضل الاول لفاروق .. ولذلك أهدينا له الطبعة الاولى من هذا الكتاب ..

نعم .. فقد كان فاروق فاجرا .. فكشف عن وجهه أقنعة الزيف والنفاق .. ومزق بيديه حجب الحديعة والرياء .. وأتاح للشعب المخدوع - لأول مرة - أن يعرف حاكمه على حقيقته ..

وتبين الشعب أخيرا أن فاروق كان فذا فى جرائمه وخطايا .. ولكنه لم يكن يعرف - قبل هذا الكتاب - أنه لم يكن فذا ..

فقد ورث غدر محمد على وجبروته .. وصلف اسماعيل وغروره .. وخيانة توفيق ومروقه ..

أما الاستبداد والبغى . وأما الجشع وعبادة المال ، فقد سرت فى عروقه من أجداده جميعا .. وأما الرذيلة والانحلال فقد كانت لأبع الاستقراطية المرفهة فى كل حين ..

وقد كان الشعب محتفظا بروحه .. وانمزقته الحزبية العمياء ، المطامع الهوجاء والمظالم النكراء ..



وعلى عرة من الطاغوت وأذنا به .. ومن الفساد وأربابه ..  
ومن الاستعمار وحلفائه .. ومن الاستبداد وأوليائه .. نهض  
الشعب بآخر وثباته ..

وانتصر الشعب دون أن تراق قطرة دم ..

فقد كان فى صفوف جيشه نفر من أبنائه ، اجتمعت فيهم  
نزاهة عمر مكرم وزهده .. وشجاعة لطيف سليم وحكمته ، وبسالة  
أحمد عرابي واقدامه .. وحماسة مصطفى كامل وحيويته .. ووطنية  
محمد فريد وفداؤه .. واجتمعت لهم - الى جانب ذلك - تجارب  
الماضى وعبر التاريخ ووعى العصر الحديث ..

هكذا استطاعت تلك الصفوة من أبناء الشعب أن تنتصر فى  
النهاية ..

فاقتلعت آخر السلالة الغادرة المارقة وألقت به الى عرض  
البحر ..

وكفرت بالحزبية .. وآمنت بالوطنية ..

وأودت بالاقطاع لتخفت صوت التبطل وتصغى الى صوت  
الحركة الدائبة والعرق المتصبب .. ولتبني المواطن الصالح فى الارض  
الصالحة ..

وقضت على عوامل الشفاق لتخلق الوحدة الشاملة ..

والفت المزايا المفصوبة او المبدولة تمشيا مع منطق المساواة  
والعدل والكرامة ..

ومضت فى سبيلها تطالع العالم فى كل يوم بدفعة الى الامام ..  
وتحصل للشعب المناضل فى كل يوم على حق مغصوب ..

ووجد الشعب فيها روحه قبل أن يجد فيها قيادته .. فمضى

معها فى الطريق التى شقها بجهاده فى تاريخه الطويل ورواها  
بدمائه ودفن على جانبيها أشلاء ضحايا طوال مائة وخمسين عاما ..  
وهو اليوم لا يزال يمضى آمنا .. وسيظل يمضى ولا يتوقف  
لأن قاده ينرون له ذلك السبيل .

\*\*\*

ومرة أخرى ، نحن نكتب للتاريخ - وهؤلاء القادة قد  
دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ولكنهم - مد الله فى أعمارهم - لم  
يدخلوا فى ذمة التاريخ ، والمفاخر التى كللت هاماتهم فى هذه  
الفترة القصيرة لا تحسب شيئا الى جانب ما ينتظرهم فى مقبل  
الايام ..

فلندع أسماءهم الآن ، ولنتابع خطواتهم الى غاياتنا العليا ،  
وأهدافنا البعيدة ..

\*\*\*

الى هنا ، كانت خاتمة هذا الكتاب ، فى طبعته الاولى ، التى  
صدرت فى اوائل عام ١٩٥٣ عن جماعة القلم ..  
ومضت سنوات عشر ، وتحققت آمالنا فى ثورتنا البيضاء ..  
فى هذه الحلقة المجيدة من حلقات نضالنا الموصول ..

وتعاقبت الأمجاد ، التى غيرت وجه التاريخ ، فكان لزاما  
عليه أن يمسك بالقلم ، وأن يلهث فى أعقاب الزعيم الثائر ، الذى  
انبعث من ضمير الشعب المناضل ومن أعماق وجدانه ، ليقود  
نضال الجيل الحاضر من نصر الى نصر .. وليحقق فى كل يوم  
أحلامنا ..

وليس من شأنى أن أطاول التاريخ فيما سجل حتى الآن من  
وقائع واحداث .. ولا أن أجاريه الى غايته ، فاستقرىء النتائج

اتعمق المدلولات .. وانما ادع ذلك كله للأجيال القادمة ، عندما تكتمل حلقة النضال الحاضر التي بدأها الشعب العربي في مصر بقيادة زعيمه الثائر جمال عبد الناصر ، والتي تخطت الصعيد العربي ، والافروأسيوى الى النطاق الانسانى الشامل ، لتكون لها آثارها الايجابية - باذن الله - فى اقرار مبادئ الحق والعدل والكرامة والشرف ، وفى توفير سعادة المجتمع البشرى فى جملته فى ظل هذه المبادئ والمثل ..

ولكن الذى يعينى ، ان امضى فى رحاب الصورة الباهرة التى رسمتها خطوات السنوات العشر الماضية ، فأقبس انعكاسات بعض أضوائها ، وأضع منها خاتمة اخرى جديرة بهذا الكتاب .. خاتمة يكلاها الفار .. بعد اكثر من قرن ونصف قرن من الجهد الناصب ، والقتال الدائب والدم المبدول ..

وأول الاضواء وأبهاها ، تخلص الجهاد الشعبى من اكبر عوائقه الى غاياته ، وهى : الملكية المستبدة ، والاستعمار الفاشم ، والاستغلال الاقطاعى ..

فأى نور هذا الذى بدد الظلمات المتكاثفة طوال مائة وخمسين عاما من حكم محمد على وسلالته الملتبثة .. وأية قوة تلك التى حطمت قيود الاستعمار المتراكمة على مدى ٧٢ عاما من بطش الانجليز وجبروتهم ، ومن الاعيبهم ودسائسهم .. وأية حكمة تلك التى بادرت فأول الرجعية والاستغلال فى معاقل الاقطاع والاحتكار ..

انه نور الثورة البيضاء ، وقوة العزمات الصادقة ، وحكمة القيادة الواعية ..

ثم انتشر النور وتلألأت الأضواء ..

تسلط الضوء الباهر على اخطار الاحلاف العسكرية على

سلام العالم وأمنه .. وهى المقدمات الطبيعية للحروب التى هددت المجتمع الانسانى بالخراب والدمار .. فكان مبدأ رفض الاشتراك فى هذه الاحلاف ، وسلوك سبيل الحياد الايجابى، الذى يعمل على ايجاد قوة فعالة تحول دون اعتراك القوتين المتنازعتين فى الشرق والغرب .. وتعبير عن الضمير العالمى الحر فى مطالبته بكف مخالف التسليح الذرى وغيرها من وسائل التخريب الشامل .. وقد كان الحياد من قبل سلبيا ينافق الجانبين المتخاصمين . فى سعى كل منهما الى ابادة العنصر البشرى وتقويض دعائمه مدنيته ..

وساط الضوء الباهر على حقيقة الوجود الانسانى .. فعرفت الأمة العربية - فى مصر وخارجها - كيانها ومقومات عزها الغابر ، وواجبها حيال نفسها وحيال كافة الأمم والشعوب .. وبدأت تسلك سبيلها الطبيعى الى تحقيق وحدتها الشاملة التى مكنتها فى يوم من الايام من صنع التاريخ الانسانى . والحضارة الانسانية والكرامة الانسانية .. على اساس ان مبادئ الحق والعدل والشرف ..

واذا ذكرت القومية العربية . كان لزاما ان يسجل بالفخر موقف الشعب العربى فى كل مكان من : سورية ، ومصر ، وان تكن تجربة الوحدة التى قامت بينهما قد اعترضتها عوائق ، كان الشعبان قد اتقيا بها الى اعماق النسيان .. ولكنها تسلت الى سورية فى اعماق الظلام فأعملت معاول الرشوة ، والخديعة . واثارة المطامع والاحقاد ، وقدر لها ان تفرض الانفصال بالحديد والنار على الشعب العربى فى سورية الحبيبة ، وهو الذى صنع الوحدة من قبل بارادته .. وسارع الى نشدانها غداة خلصته الصفوة المؤمنة من الطغمة الفادرة ..

اما فضل الشعب العربى فى مصر . فقد فاض ولا يزال يفيض من مواقفه البطولية الواعية ..



فتح ذراعيه لآخوانه في سورية حيثما اتفقد اجماعهم على  
الوحدة .. فاما تمكن دعاة الانفصال من حبس توازن الوحدة في  
الصدور ، وكبتها ، وتقييدها بأغلال البطش والخديعة حتى حين ،  
ترك لآخوانه في سورية أمر أنفسهم ... ليعيدوها اذا شاءوا  
بارادتهم ، وإيمانهم ، ووسائل كفاحهم ..

ومد يد المعاونة الصادقة الايجابية ، الى الشعب العربي  
في العراق ، في وثبته على الرجعية والخيانة والسير في ركاب  
الاستعمار ، غير مبال بما بدا بعد ذلك من انحراف بعض مفتصبي  
السلطة .. فذلك تقع مسئولية تقويمه على الارادة الشعبية في  
العراق .. وقد نهضت هذه الارادة الشعبية بمسئوليتها واعادت  
الشعب العربي في العراق الى مكانه في الصعيد العربي ..

وايد - بكل ما دخل في مقدوره - جهاد الجزائر المكافحة ..  
ولم يزل يبذل لآخوته في الجزائر كل ما يستطيع من معاونة الاخ  
العربي الذي استشعر واجبه منذ قدرت له نعمة السبق الى  
الحرية والاستقلال ..

وهكذا فعل الشعب العربي في مصر . عندما قامت الثورة  
التحريرية العربية في اليمن .. وسيفعل عندما تتأذن ساعة  
التحرير في فلسطين ، وفي كل قطر من اقطار الوطن العربي يعاني  
من الاستعمار او الطفيان او الاستغلال ..

وعلى طريق النضال الشعبي في مصر ، طوال السنوات  
العشر الاخيرة ، اقيمت سدود ضخمة كاثت خليفة أن تعوق  
انطلاقاته .. ولكن أبناء الجيل الحاضر من المناضلين ، وقياداتهم  
الثائرة ، استطاعوا أن يزيلوا هذه السدود ، بل وأن يستمدوا من  
بعضها مزيدا من السرعة والتوفيق في انطلاقتهم الى أهدافهم ..

كان تلكؤ الغرب في بيع الاسلحة اليهم حافزا على تحطيم  
احتكار التسليح ثم على الانتاج الدفاعي على مستوى الصواريخ .

وكان رفض تمويل السد العالي ، حافزا على التعجيل باستعادة قناة السويس واستردادها لمن أقاموها بسواعدهم وفي أرضهم ووطنهم ..

وبدلا من جهاد أكثر من سبعين عاما لطرد المستعمر البريطاني ، أسفر جهاد أشهر قلائل ، في سنة ١٩٥٦ عن طرد دولتين كبيرتين معتديتين هما إنجلترا وفرنسا ، وفي أعقابهما ذيلهما الخسيس اسرائيل ، التي ولدت سفاحا اثر نزوة متهتكة من نزوات السياسة الاستعمارية ..

على أن ذلك النضال المتصل ، الذي احتشدت دواعيه وأسبابه في تلك الفترة القصيرة ، لم يصرف الشعب المناضل عن إقامة وطنه الجديد .. الحر .. المستقل الذي يتمتع تحت سمائه كافة أبناء الشعب بالعدل ، والكرامة والرخاء .. بعد أن كانت وقفا على المستعمرين ، والاقطاعيين ، والمحتكرين ، والراسماليين المستغلين .. وقد مضى الشعب في هذه السبيل وفقا للسياسة الاشتراكية التي انبثقت من آلامه وآماله ، وللتخطيط الذي استهدف استثمار كافة الامكانيات الوطنية استثمارا أمثل .

كذلك لم ينصرف الشعب المناضل عن مواجهة مسؤولياته الضخمة تجاه واجبه التاريخي كقاعدة لحركة الطليعة العربية ، الهادفة الى تحرير الارض العربية ، والمواطن العربي ، من كل سيطرة أجنبية ومن كل استغلال خارجي أو داخلي استعماري أو رجعي .. فواصل سعيه الى التعبئة الشعبية ، وتنظيمها ديموقراطيا على وجه يؤكد للأمة العربية دورها في دفع التقدم الانساني ، وأسفر ذلك عن تأليف المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، وعن اعلان الميثاق، وعن تكوين الاتحاد الاشتراكي العربي .

ولعل أجدر خاتمة لهذه الفترة الأخيرة من مراحل النضال ، تلك الكلمات القصار التي وردت في اعلان الميثاق :

ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه  
بالحرية والحق بالكفاية والعدل بالمحبة والسلام .

ان شعبنا يملك من ايمانه بالله .. وايمانه بنفسه ما يمكنه  
من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أهانيه ..  
نحن أعضاء المؤتمر الوطنى القوى الشعبية ، الممثلين  
لقطاعات الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة ..

والصادرين عن ارادة شعبية تبرم أمرها فى اجماع ووحدة  
ايماننا منا بالله وبما أنزل من شريعة الحق والخير والسلام ،  
وتقديسا لحق الانسان فى العزة والكرامة ، وفى الكفاية والعدل ،  
واستمساکا بحق أمتنا فى الحياة والتحرر والانطلاق ..

وتشيتا لخطانا على طريق ثورتنا الانسانية والاجتماعية  
والسياسية .. وسعيا الى تحقيق التكافل وتذويب الفوارق بين  
الطبقات .

وتوكيدا لعانى الفضيحة والايثار فى ساوك الفرد وصلات  
الجماعة .

وتجلية لطابعنا الشعبى وحياتنا الاصلية فى اطار قيمنا  
الروحية ، الدينية والخلقية ..

واعترازا بترائنا فى الماضى وبجهادنا فى الحاضر وعملنا من  
اجل المستقبل .

ويقينا باننا جزء لا يتجزأ من الشعب العربى ، وأن أمتنا  
العربية امة واحدة .

وأداءواجبنا التاريخى ، ورسالتنا الخالدة فى بناء السلام ،  
القيام على العدل .

بنلك كله ، ومن أجل ذلك كله ، نقر هذا الميثاق ونعلنه ،  
اطار لحياتنا ، وطريقا لثورتنا ، ودليلا لعملنا من أجل المستقبل  
وعلى الله قصد السبيل ..

# فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٥
مقدمة الطبعة الاولى	٧
هذا الكتاب	١١
الحلقة الاولى - من أعماق الظلمات	١٥
الحلقة الثانية - عبقرية شريرة	٤٧
الحلقة الثالثة - الوثبة العرايية	٧٧
الحلقة الرابعة - صراع مع الشياطين	١٠٩
انتصار الشباب	١٤٧



# هيئة قناة السويس

## مناقصة عامة

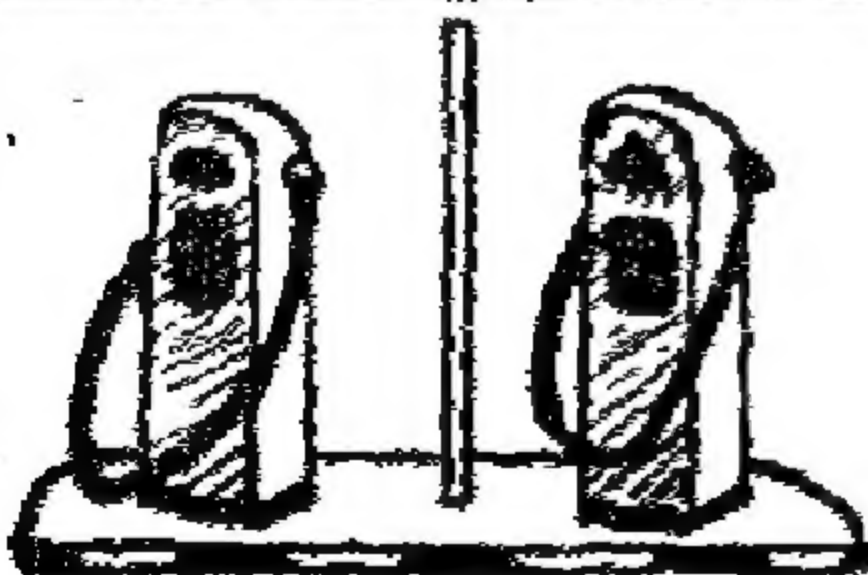
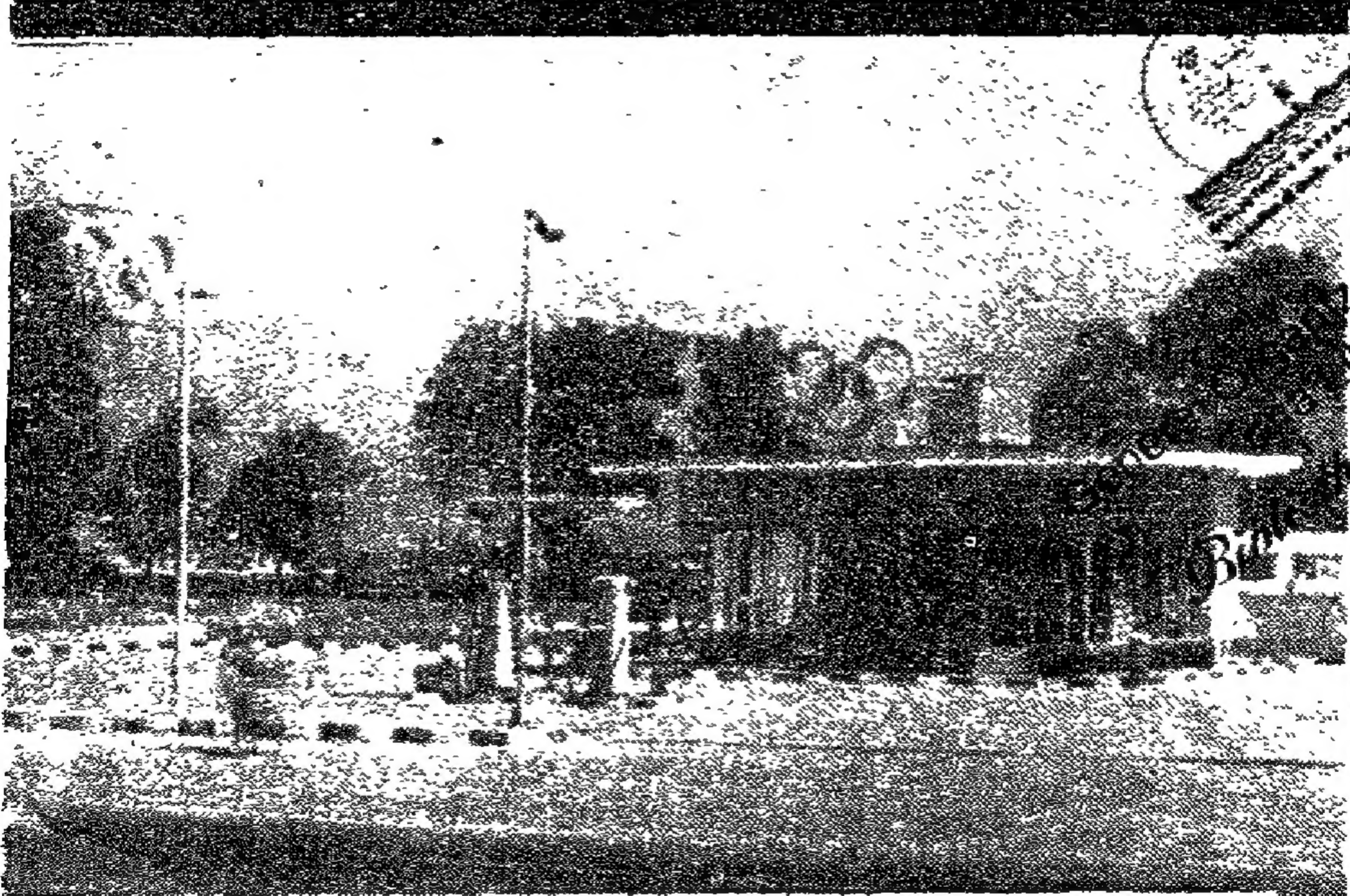
تطرح هيئة قناة السويس في مناقصة عامة بوريد  
٢٥٤٦٠٠٠ قطعة من ترايبس الجرانيت مقاس  $٢٠ \times ١٣ \times ١٣$   
سم ،  $٣٠ \times ١٣ \times ١٣$  سم ،  $٥٠ \times ١٥ \times ٢٠$  سم وارد جزيرة  
سلوجة باسوان لآعمال الرصف للطريق بميناء بورسعيد  
وبور فؤاد وتطلب مستندات المناقصة من هيئة قناة السويس  
بالاسماعيلية ( التخطيط والابحاث ) بالاسماعيلية بالمجان  
وقد تحددت الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ١٧  
يوليو ١٩٦٣ موعدا لفتح مظاريف العملية المذكورة ..





# الجمعية التعاونية للبترول

زيت التعاون المخصوص  
صيانة مثالية للمحرك  
ووفر كبير في التكاليف



الدار القومية للطباعة والنشر







مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عميد - روض الفرج

تلفون } ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢  
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

الثلث ١٠ قروش

العدد ٢٤٤